

الخدائفة الساسية و الخدائفة الستاتية

ترجمة: أحمد عبد الكريم

كريبه



الجغرافية السياسية
والجغرافية الاستراتيجية

جميع الحقوق محفوظة للناسر
الطبعة الأولى ١٩٨٨ / ٨ / ٣٠٠٠

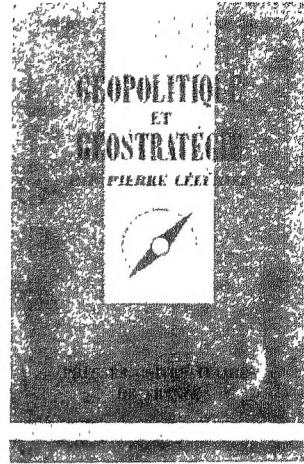
الأهالي

للطباعة والنشر والتوزيع

مطبع هاتف: ٤٢٠٢٩٩ ص.ب. ٩٥٠٢ تلخس، ٤١٢٤١٦

الجغرافية السياسية والجغرافية الاستراتيجية

الأميرال بيير سيليريه
ترجمة: أحمد عبد الكريم



صورة النسخة الفرنسية

تقديم

كتاب : «الجغرافيا - السياسية، والجغرافيا - الاستراتيجية» الذي نقدمه اليوم للقارئ العربي، هو محاولة موضوعية جدية أقدم عليها المؤلف الأميرال «بير سليرييه» لتعيد هذا الميدان الشائك شديد الوعورة، وتأطيره، والسعي للاحاطة بفروعه ومقوماته وأساسه العلمية والتاريخية العديدة، وجعله في متناول الباحثين والخبراء والقادة من سياسيين وعسكريين.

واعتقادنا أن شمولية البحث رغم كثافته وإيجازه، تلفت انتباه القادة الى التشابك والتأثير المتبادل للعناصر الأساسية التي تشكل مكونات ما يمكن تسميته بعلوم «الجغرافيا - السياسية، والجغرافيا - الاستراتيجية».

فالمكان والزمان والانسان، هي العناصر الأساسية لهذه العلوم.

والمكان اليوم أصبح بعد غزو الفضاء، ذو أبعاد ثلاثة، كما لم يعد للحواجز الطبيعية والمسافات الأهمية نفسها التي كانت لها في الماضي، بسبب التطورات الهائلة التي طرأت على وسائل النقل والاتصالات.

حتى يمكن القول أن الحدود بين الدول والقارات زالت أو في طريقها الى الزوال، وبمقدور عدد محدود من الأقمار الصناعية مراقبة التحركات التي تجري فوق كامل الكرة الأرضية (برها وبحرها) بينما لم يكن بمقدور ملايين وسائل الرصد البرية والبحرية والجوية القيام بهذه المهمة قبل عقدين من الزمن.

والزمان، كان ولا يزال عاملاً أساسياً بالنسبة لحاجز ومستقبل البشرية

جمعاء . فيما من شعب صغير كان أو كبير يمكن فصل مستقبله عن ماضيه وحاضره ، كما لا يمكن فصله عن الحيز الجغرافي الذي يعيش فيه . هذا مع الأخذ بعين الاعتبار تصاعد أهمية الزمن بسبب المنجزات العلمية والوسائل التكنولوجية المدهشة التي أصبحت في خدمة الانسان ، والتي تزداد تطوراً بين يوم وآخر ، الأمر الذي جعل لكل ثانية أو جزء من الثانية أهمية قصوى في مصير الانسان .

والأمثلة الملموسة التي تؤكد ذلك يصعب حصرها ، وابرزها على سبيل المثال ، ما عرفته البشرية من تسارع في وتائر التطور خلال النصف الأخير من هذا القرن ، فالحدث الذي يقع في أي نقطة من المعمورة أو الفلك الذي يدور حولها ، يصل الى كل سكان الكرة الأرضية ساعة وقوعه ، صوتاً وصورة ، وما يسمى اليوم بحرب النجوم ووسائلها تقلص فرص التصدي للصواريخ المعادية الى دقائق معدودة . والمسافر حتى بالطائرات العادية ، يمكن أن يتنقل بين عواصم العالم خلال يوم أو يومين بينما تدور المركبات الفضائية - المحملة بأسلحة الدمار أو بعدسات التجسس وعشرات المرات حول الأرض . . . يوماً . .

والوقت أو بالأحرى الزمان يختلف تعريفه بين أمة وأخرى حسب امكانياتها ومدى تطورها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتكنولوجي . . . فهناك من الشعوب من لا يزال يعيش تطوره بعشرات السنين ، وشعوب أخرى تحاول اقتناص الأيام والشهور والسنين لكي تستدرك مافاتا لتلحق أو تسبق غيرها ، وتعد نفسها لمفاجآت آخر القرن القريب أو بداية القرن القادم الغامض وتكرس أفضل عقولها وجزء هام من امكانياتها لضمان مستقبلها .

وأخيراً يبقى الانسان هو العامل الأساسي ويبقى الوسيلة والغاية . لكل تطور ، بصرف النظر عن أي نظام اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي ، بل بصرف النظر عن أي عقيدة أو أيديولوجية ، ذلك أنها جميعها تهدف الى سيادة وتأمين الحياة الكريمة له ، والانسان هو صانع التاريخ ، ومروض الطبيعة ومسخرها ،

ولكنه في الوقت نفسه لا يستطيع التحرر من وطأة التاريخ، ولا يمكن التحرر من تأثيرات الطبيعة أو البيئة التي يعيش فيها.

والجغرافيا السياسية والجغرافيا الاستراتيجية، إحدى العلوم الحديثة التي يحتاجها القادة السياسيون والعسكريون في الانساق العليا التي تصنع فيها القرارات بشكل خاص، وهي مكمل للعلوم الانسانية والتطبيقية الأخرى التي تهيم لهؤلاء القدرة على الخطط السياسية والعسكرية العليا تحديد الأهداف، بما يتلاءم مع الظروف والشروط الموضوعية والامكانيات والوسائل المادية والمعنوية والبشرية، ولا يغفل الاطار العام الشامل المحلي والاقليمي والعالمي، ولا يتجاهل العناصر التفصيلية التي تربط كل حدث لها صغير أو كبير، بالمحيط الذي يقع فيه ولا يمكن أن تعزله عن العوامل الخارجية التي تغطي في عصرنا الحاضر وتؤثر عليه بشكل مباشر أو غير مباشر، الى الحد الذي يمكنها أحياناً من تسخيرها لغايات مختلفة تماماً عن الغاية التي أدت الى حدوثه واخراجه من نطاق تأثير القوى التي سببته، لتصبح هي والحدث أداة طيعة ووسيلة بيد القوى الأعظم والأقوى . . . ونحن اذ نقدم هذه الدراسة، للقارئ العربي، تدفعنا الى ذلك الرغبة، بتحريض الباحثين والمختصين للمزيد من الدراسات والبحث ليكون للامة العربية سياستها وстратегيتها المبنية على ما حباها الله سبحانه وتعالى من موقع جغرافي فريد وامكانيات وثروات، وما أنجزه الانسان في هذا الحيز الجغرافي الحساس من ثقافات وحضارات، أغنت البشرية ولا تزال . . مما يوفر له كل الفرص لكي يلعب الدور الذي يستحقه في العلاقات الدولية.

أحمد عبد الكريم

المقدمة

«ان محاولتنا هذه تركيب يبحث
عن نفسه، شأنها في ذلك كشأن العالم
الذي نسعى لفهمه» .
● غاستون بيرجيه

الجغرافيات السياسية : La Géopolitique جزء متمم للجغرافيا العامة ؛ وإدارة الحروب كانت دائماً تهتم بالشروط الطبيعية لمسارح العمليات . غير أن السياسة والستراتيجية بقيتا زمنأ طويلاً تمارسان في ميادين منفصلة ؛ فكان رجل الدولة ، والقائد العسكري ينظران للجغرافيا من زوايا مختلفة في أغلب الأحيان ؛ ولم تكن هذه الطريقة توفر لكل منهما إلا معرفة «ساكنة» للوضع العام .

ولم يعد من الممكن استمرار هذا الاسلوب في أيامنا الحاضرة ، لأن الجغرافيا اكتسبت معنى آخر، بعد ان سمحت الأساليب والوسائل العملية الحديثة ، بالحصول على المعرفة الدقيقة للعالم في مظاهره واشكاله المتعددة ، وبإستنباط الأسباب التي تكمن وراء ما يطرأ عليه من تبدلات ، وتقدير النتائج المترتبة على تدخل الإنسان بالتوازنات القائمة والتطورات التي قد تحدثها .

وهذا التدخل، ليس في الحقيقة سوى تجسيد لارادة سياسية، تأخذ عند الاقتضاء شكل «العمليات العسكرية».

والحرب، كانت ولا تزال، حسب التعريف المشهور عن كلوزويتز. «هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى». ولا بد إذن للقائد العسكري (رجل الاستراتيجية) ولرجل الدولة (السياسي)، من أن يفكرا بالاتحاد. إلى الحد الذي يصل أحياناً إلى أن يشكلا رجلاً واحداً. ذلك أنهما يتواجدان ويتفقان - في المفاهيم الحديثة للجغرافيا التطبيقية - في الميادين التي تعنيهما والتي يطلق عليها اسم «الجغرافيا - السياسية» و«الجغرافيا - الاستراتيجية». والواقع ان هاتين الكلمتين اخذتا تفقدان كل أثر من آثار الفدلكة اللغوية، التي كانت تسند اليهما عضويّاً في الماضي، واصبحتا تعنيان نوعاً من التفكير، وطريقة خاصة لتصور الأشياء مما يلاقي الآن رواجاً واسعاً في أوساط المختصين. إلا أن هذه الأفكار لا تزال في أغلب الأحيان مبعثرة، لأن الصلات الوثيقة التي تربطها ببعضها لم تظهر بما فيه الكفاية، على الرغم من الدروس الواضحة، والقاسية، في أغلب الأحيان، التي تزودنا بها الأحداث الراهنة.

ونحن لا نرى دائماً إلى أي حد تختلط القضايا السياسية والاستراتيجية، الكبرى، وكيف تحتاج بل وترتبط كل منهما بالأخرى في أيامنا الحاضرة. كما لا نرى، أحياناً، كيف أن العوامل الجغرافية ليست سوى معطيات أساسية مشتركة في المجالين، كما أنها تشكل بنفس الوقت شروطاً للوصول إلى الحلول الصحيحة، وبذلك تعتبر مشتركة بالضرورة أيضاً. وهذا هو السبب الذي حملنا على وضع هذه الدراسة عن الميدان السياسي - العسكري.

ويبدو أن الأحداث التي وقعت في العالم منذ نشرها لأول مرة (عام ١٩٥٥) حتى تاريخ هذه الطبعة الرابعة (عام ١٩٦٩) أكدت افكارها

الأساسية . وقد نوهنا للتبدلات الهامة التي طرأت عليها بالفعل .
والواقع الآن، أن «العنصر النووي» بشكل خاص، يسيطر أكثر فأكثر
على العصر الذي نعيش فيه ؛ وهذا لا يعني إطلاقاً اغفال العوامل
التقليدية - وخاصة منها العوامل الجغرافية - عند دراسة أي ظرف من
الظروف، أو تقييم الاحتمالات المترتبة عليه .

والحقيقة ان استخدام الطاقة النووية سيؤدي غالباً إلى تغييرات
جذرية، كما كان الأمر بالنسبة لاستخدام البترول الذي ادى لتطورات
عميقة في العالم . وان لتطبيقات التكنولوجيا الحديثة في مجال الالكترون
سيكون لها آثار حاسمة لا تقل أهمية عن غيرها من المنجزات العظيمة .
ففي الميدان العسكري مثلاً، ترتب على استخدام الأسلحة النووية
ثورة حقيقية، لأن آثارها التدميرية بلغت من الضخامة حدّاً يعجز خيال
الانسان عن حصر مضاعفاته . ويبدو ان الدول لا تزال مصممة على عدم
استخدام هذه القوة الرهيبة، بشكل كثيف على الأقل، في الحروب
الشاملة .

ومع ذلك فمن المرجح أن يلجأ المتنازعون - في سبيل فرض ارادتهم -
إلى استخدام الحروب الثانوية التي عرف الكثير منها في السنوات التي تلت
الحرب العالمية الثانية وقد اطلق عليها اسم «الحرب الاقليمية» أو «الحرب
المحدودة» جغرافياً أو بسبب أنواع الأسلحة المستخدمة فيها، أو اساليب
تصعيدها بدءاً من الخطب النارية الجماهيرية وحتى قنابل النابالم (والقنابل
العنقودية) (بانظار القنابل النووية المصفرة) .

وفي كل الحالات، فإن أنواع وأهمية الحروب تتناسب مع أنواع
الخصوم المتنازعين، كما تحددها أيضاً العوامل الجغرافية - الاستراتيجية،
والجغرافيا - السياسية، التي تحتفظ بدورها نفسه في الحروب الباردة وفي
الحروب الساخنة .

الجزء الأول

الجغرافيا - السياسية La geopolitique

«ان هذه الكلمة المشبوهة جداً، والمقنونة
جداً، يجب ان يعاد لها اعتبارها، باعطائها
معناها الحقيقي».

● ج. دوكاسترو

الفصل الأول

لمحة تاريخية

«بين السياسة والواقع تقوم هوة من الجهل
ومن منطق الرجال».

● ج. غوثمان

كانت الحاجة والفضول دائماً وراء اكتشاف الانسان لبيته الأرضية، ورسم حدودها، وتحديد المواقع المتباينة عليها، وأخيراً وصف وتمثيل هذه النتائج بشكل ملائم.

وكان لكل زمن جغرافيوه الذين كرسوا حياتهم لتثبيت المعارف التي حصلوا عليها فسترابون (STRABON) وبتولوميه (Ptolemée)، لا تزال شهرتهم ودقة أعمالهم تحتفظ بمكانتها حتي يومنا الحاضر^(١). غير ان هذه الدقة كانت نسبية،

١ - سترابون : STRABON جغرافي يوناني ولد في أمازياعام ٥٨ ق. م وتوفي عام ٢٥ م. وألف كتاب والذكريات التاريخية للجغرافيا الثمينة. (المغرب)

- بتوليميه Ptolemée Claude : هو عالم فلكي، وجغرافي، وعالم رياضيات، من أصل يوناني (٩ - ١٦٨ م).

وقد اغفل المؤلف، الجغرافيين العرب الذين ساهموا في وضع علم الجغرافيا مثل ابن بطوطة، والادريسي، وغيرهما. (المغرب)

وبقيت الجغرافيات زمناً طويلاً مقصورة على التقريب الذي يبدواً عيننا الحديثة نوعاً من الابداع الخيالي. والواقع ان الصرامة، التي اعتدنا عليها، لم تبدأ إلا في نهاية القرن السابع عشر، عندما توفرت للإنسان أدوات القياس الصحيحة والدقيقة التي أمكن بواسطتها تحديد المواقع، وحساب المسافات، والارتفاع عن سطح البحر، ورسم الحدود. الخ. . وفي نفس الوقت ظهر الإحصاء، الذي يعتبر القاعدة الأساسية التي اعتمدت عليها الجهود الأولى لتحليل العوامل الاقتصادية.

ولعل في هذا ما يوضح أن الرجال الذين كانوا يديرون المجتمعات والدول في الماضي البعيد، لم يكونوا يعرفون ما يمكن أن تقدمه لهم الجغرافيا من عون لكي يقوموا بمهامهم أو بالأحرى لكي يختاروا السياسة الملائمة ويطبقوها.

وان التنافس الشديد الذي اجتاحت العالم باسمه أثر الاكتشافات الكبيرة^(٢)، أدى لأول مرة في القرن الخامس عشر إلى اقتسام الأراضي على الأسس الجغرافية. ومع ذلك فإن السياسة لم تبدأ الاعتماد على العوامل المتنوعة التي تشملها الجغرافيا الحديثة إلا في نهاية القرن السابع عشر، وأهم هذه العوامل هي: العوامل الاجتماعية، والعوامل البشرية، والعوامل الاقتصادية، والعوامل الطبيعية.

ومن الجدير بالذكر بهذه المناسبة أن «ماكيافيلي» نفسه^(٣) كان يجهل هذه

٢ - رحلة ماجلان وإثبات كروية الأرض من عام ١٥٢٠ - ١٥٢٢ م. ورحلة كريستوف كولومبس واكتشاف القارة الأمريكية. عام ١٤٩٢ م.

٣ - نيكولا ماكيافيلي Machiavel - سياسي وكاتب إيطالي ولد في فلورنسا عام ١٤٦٩ م وتوفي عام ١٥٢٧، له عدة مؤلفات سياسية أشهر كتاب الأمير الذي ذاعت شهرته واحتفظ بها حتى الآن. (المغرب)

العوامل ؛ وإن فكرة «الحدود الطبيعية» العزيزة على الكردينال ريشيليو^(٤) كانت مفهوماً جديداً يربط لأول مرة السياسة بالجغرافيا .

والجغرافيا - السياسية ولدت من دراسة هذه العلاقات . وسنحاول في هذا الكتيب ان نظهر كيف يمكن للمعلومات الجغرافية ان تكون مفيدة - بل وضرورية - لقيادة الشعوب في السلم كما في الحرب . وسترى ان رجل الدولة والقائد العسكري يجدان فيها الاسباب المشتركة لوضع خطوط العمل المتوازية أو التي تطيل هذا الخط أو ذاك .

وهكذا يمكن أن نلاحظ بأن السياسة والستراتيجية تسير بنفس الخط في هذا المضمار؛ وليس من المفاجيء إذن ان يكون «المعرض» الأولي لهذه أو تلك من فعل نفس الرجل الذي كان في وقت واحد، ادارياً عظيماً وستراتيجياً كبيراً . ويمكن القول ان الجغرافيا - السياسية، والجغرافيا - الاستراتيجية، تنحدران من جد مشترك هو العالم فوبان VAUBIN^(٥) .

٤ - الكاردينال ريشيليو Cardinal de Richelieu رجل دولة فرنسي ولد في باريس (عام ١٥٨٥م وتوفي عام ١٦٤٢م) وأصبح اسقفاً في مدينة ليسون Luçon في سن العشرين . وفي عام ١٦١٦ عينته الملكة ماري ديميديس سكرتيراً للدولة للشئون الحربية . وفي عام ١٦٢٢ أصبح كاردينالاً ، وفي عام ١٦٢٤ أصبح عضواً في مجلس الملك وما لبث ان أصبح رئيساً لهذا المجلس (أي رئيساً للوزراء) ، وأصبح من أعظم رجال الدولة في تاريخ فرنسا . ومن أشهر متجزاته بناء جامعة الصوروبون ، وبناء القصر الملكي Palais Royal وأحداث الاكاديمية الفرنسية عام ١٦٣٥م .
اما على صعيد السياسة الداخلية فهو الذي نظم المركزية الادارية التي دعمت الوحدة الفرنسية ونفذ الكثير من الاصلاحات المالية والقانونية والعسكرية .

(المغرب)

٥ - المارشال فوبان Vaubin

(Selastien de prestre de Vaubin) : المعروف بيارشال فرنسا ، ولد في سان ليجية فوبان ، (١٦٣٣ - ١٧٠٧) كان مهندساً لدى الملك ، ثم سمي كوميسر عام للتحصينات عام ١٦٧٨ ، فحص حدود المملكة ، وادخل تحصينات على دفاعات المدن ، وقاد بنفسه بعض العمليات الدفاعية عن مدينة ليل عام ١٦٦٧ وفيليسبرغ عام ١٦٨٨ . ولكنه مع ذلك فقد حظوة الملك

١ - الرواد الأوائل :

اعطت اعمال المارشال فويان ودراساته ومنجزاته طابعاً مميزاً للعصر الذي عاش فيه ، وكان لها تأثيراً متبادياً على القدرات العسكرية والاقتصادية الفرنسية . فقد كان يعتمد دائماً على الدراسة العميقة والمكثفة للجغرافيا الإقليمية حتى اصبح رائداً في هذا المجال . وهو جدير بهذا اللقب أيضاً عندما يظهر العوامل الجغرافية المتغيرة ، والتي كانت مجهولة حتى ذلك الوقت : كالامكانيات الخاصة لمختلف الشعوب ، والامكانيات التي يمكن استثمارها من المصادر الطبيعية في البلاد والتي يضعها في المقام الأول من الثروات - وهذه فكرة جديدة ايضاً - والتغيرات التي يمكن ان تحدثها اعمال الإنسان في الحالة الطبيعية للأشياء .

وكان فويان يسعى من وراء بحوثه ومنجزاته تحقيق هدف مزدوج وهو: تنمية قوة الدولة بزيادة وتحسين امكانياتها المالية عن طريق تنظيم الضرائب العادلة التي تؤمن مواردها من اقتصاد متطور عقلياً . ثم تأمين الدفاع عن البلاد بالتنظيم الجيد للقوات المسلحة واستخدامها على احسن وجه ، واقامة شبكة من المواقع المحصنة في الأماكن الحساسة ، بشكل يسمح للوحدات العسكرية بالاستناد اليها والمناورة فيما بينها فوق اراض صالحة ومعروفة يجري اختيارها مسبقاً .

وإن الخطط والأنظمة التي وضعها فويان . والمذكرات التي خلفها ، يمكن اعتبارها نماذج للدراسات الجغرافية الذكية . وإن كتابة الأخير المسمى « العشر الملكي » La Dime Royale يطرح افكاراً لم تصبح مقبولة الا بعد مرور قرن كامل على نشرها .

ويشهد القرن الثامن عشر توسعاً سريعاً في معرفة العالم ؛ وفي هذا القرن ايضاً يسدو تصنيف المعلومات الجغرافية على اساس منطقية ، وتأخذ الجغرافيا الطابع العلمي المنظم ، وتصبح كلمة « الجغرافيا » معروفة ، وترددها الألسن في جميع المناقشات الفكرية لهذا العصر الذي كانت فيه السياسة من بين ابرز المواضيع التي تشير العواطف ، وكانت الجغرافيا تحتل مكان الشرف بين العلوم ، وكثيراً ما

كانت توجه الفهم للفيلسوف مونتسكيوياته يغالي بالالحاح على التأثير الحاسم للعوامل الجغرافية و«عامل المناخ» بشكل خاص .

وفي هذا الوقت بالذات نشر السيد تورغو Turgot^(٦) - وكان لا يزال طالباً - مذكرة ذات دلالة تحت عنوان «الجغرافيا - السياسية» ؛ شرح فيها أسلوباً لا يزال مقبولاً حتى يومنا هذا .

وأخيراً ، فإن انتشار العلوم ، حفز العقول على تطبيق القوانين الطبيعية على العلاقات بين الجغرافيا والسياسة ، وما لبث ان تطور هذا الاتجاه بسرعة مذهلة ، واصبح نوعاً من «الحتمية الجغرافية» التي تشرح كل شيء .

٢ - التطور في القرن التاسع عشر

كان على أوروبا في عام ١٨١٥ ، ان تبحث في المناهج الجغرافية الحديثة ، عن المبررات لتطلعاتها الجديدة والطرق التي تساعد على تحقيقها ،^(٧) وقد لبث هذه المناهج بغيتها ، وخاصة بالنسبة لألمانيا التي عرفت حيويتها وتفكيرها المنهجي .

ويعد أن هذا الأعصار المائل الذي اجتاحت فرنسا في عهد الثورة

واصدر كتابه المشهور (un Projet de Dime Royale) دون ترخيص رسمي . عام ١٧٠٧ الذي صودر قبل قليل من وفاته .

المعرب عن لاروس اونيفيرسيل الجديد .

٦ - تورغو Turgot اقتصادي وإداري فرنسي ولد في باريس (١٧٢٧ - ١٧٨١م) ، واصبح مفتشاً عاماً للمالية عام ١٧٧٤ وانجز عدة اصلاحات هامة منها الغاء الرسوم الجمركية الداخلية ، وحاول أن يحرر التجارة والصناعة ولكنه جوبه بالمعداء من اصحاب المصالح فقد الخطوة واعفي من منصبه .

٧ - يتفق هذا التاريخ إلى حد كبير مع بلوغ الفتوحات الاستعمارية حد الذروة ، وخاصة عندما حاول نابليون بونابرت توحيد أوروبا تحت زعامته ، واخذت كل من ألمانيا وإيطاليا التطلع للوحدة والحصول على حصة مناسبة من المستعمرات في القارات الثلاث . (المعرب) .

والامبراطورية أنعش الرومانطيكية السلبية الفارغة، حلت محله رياح هادئة منعشة تجدد الفكر وتصفله، وتتناغم مع النتائج التي توصل اليها العلم في جميع الميادين؛ ثم ما لبثت هذه الموجة الجديدة ان اشتدت وانتشرت في بسرعة مذهلة ففي جميع الاتجاهات؛ وأدى هذا التيار الفكري الجديد إلى انحسار التفسير «الغيبى» و«الحتمية الروحية» التي كانت تهيمن حتى ذلك الوقت على عقول الناس، وحلت محلها العقلانية البحتة، التي نادى بها الفيلسوف كانت KANT^(٨) و«الفلسفة الوضعية» التي نادى بها العالم الاجتماعي اوغست كومت Auguste Comte^(٩).

كما سجل القرن التاسع عشر بزوغ فجر العصر الصناعي الذي اخذ فيه التطور الصناعي يغير وجه العالم مادياً وإنسانياً. واحتل الاقتصاد المكان الأول من اهتمامات السياسة، وأصبح علماً حقيقياً بسبب كثرة وشدة تعقيد المشاكل الجديدة التي طرحها.

وبالرغم من تقدم العلوم، وتطور وسائل المواصلات، التي قصرت المسافات ويسرت اختلاط الشعوب ببعضها البعض، ظلت هناك حقيقة ثابتة تفرض نفسها على الانسان ألا وهي:

«ان كل التطورات والاحداث تقع على الأرض وترتبط بها حتى عندما تغيرها»..

وقد اعطى هذا التقدم للجغرافيا قيمة جديدة فاحتلت مكانة اكثر اهمية، بينما تأثرت مناهجها بالتجديد الفكري الذي اتينا على ذكره. واصبحت السياسة والاقتصاد والتنظيم الاجتماعي، تلجؤ للجغرافيا، على الأقل في حدود معينة.

٨ - KANT، صاحب نظرية العقل الصرف «Raison Pur» فيلسوف الماني ولد في كونيسبرغ

(١٧٢٤ - ١٨٠٤).

٩ - اوغست كومت A.Comte صاحب الفلسفة الوصفية التي تعتمد على التجربة Positivisme، وهو فيلسوف فرنسي ولد في مدينة مونبيلييه (١٧٩٨ - ١٨٥٧م).

لتفسير اصولها واتجاهاتها، وتبحث فيها عن عناصر جديدة تضيفها إلى عناصر أخرى لتبني بها «مذاهب للعمل».

وهكذا نشأت «الجغرافيا الحديثة»، وحصلت إحدى فروعها على أهمية خاصة، لأن المشاكل التي تبحثها متغيرة وكثيرة الدقة، وتتعلق مباشرة بمستقبل البشرية عندما تحاول اقتراح الوسائل لتوجيهه، وهذا الفرع هو «الجغرافيا - السياسية». خاصة عندما يستوفي جميع عناصره ويثبت جدارته. ونحن لا ندعي القدرة على تتبع جميع اتجاهات وفضائل ومساوئ هذا الفرع تفصيلياً من خلال هذا البحث الموجز، إلا أننا نجد من الضروري والممكن تحديد «مدارسه» على الأقل.

٣ - المدارس :

ظهرت للملأ أربعة مدارس للجغرافيا - السياسية في وقت واحد تقريباً في أربع من الدول الغربية وهي : انكلترا، والمانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأميركية، إلا أنه من الصعب الاعتراف بأن في امريكا مدرسة للجغرافيا - السياسية بالمعنى الصحيح، (فالاستاد ديفيس W.M. DAVIS، أسس الجغرافيا الطبيعية، والاميرال موهان MOHAN الذي قيل بأنه صاحب مدرسة الجغرافيا - السياسية الأميركية، لم يكن سوى خبيراً بالستراتيجية).

أما منشئ المدارس الأوربية فهم بلا منازع :

آ - ماكندور MACKINDOR (١٨٦١ - ١٩٤٧).

ب - وراتزل RATZEL (١٨٤٤ - ١٩٠٤).

ج - فيدال دولابلاس (١٨٤٥ - ١٩١٨)،

وكان اتجاه كل منهم يتفق بشكل غريب مع الطبيعة القومية، والمنهج الفكري الخاص ببلده.

وقد عرف الاستاذ ماكندور «البريطاني» بواقعية منهجه، وباستنتاجاته العملية الدقيقة والواضحة.

وقادت «العقلية الجرمانية المذهبية» التي تمتاز بأنها مادية واسطورية بنفس الوقت، قادت هذه العقلية «راتزل» إلى بناء مذهبه كأسلوب للعمل السياسي القومي. ومن هنا نشأت نظرية «المجال الحيوي» «العزيز على النازية». وأخيراً فإن الأستاذ فيدال دولابلاس الفرنسي كان ينظر للأشياء نظرة موضوعية وناقدة، تتجاوز الحالة الراهنة؛ وملاحظاته الواردة في مؤلفاته تحض على التفكير الشخصي دون أن يفرض أو يطرح نظرية قطعية.

ولكي تكمل هذا الجدول لا بد من القول إن «المدرسة الأميركية» ستنشئ فيما بعد منهجاً تحليلياً، وتعليمياً وشكلياً على أساس الخلاصات التي توردها. ولا ريب بأن هذا التوافق (بين اتجاهات المدارس الجغرافية السياسية، وعقلية الشعوب التي نشأت من ظهرائها) يبرهن على أهمية الأسباب التي تقدمها الجغرافيا - السياسية، لتفسير أول للدفاع عن المواقف السياسية الوطنية في بعض الحالات، ولهذا فإننا سنسعى للإشارة إليها إشارة عابرة قدر الامكان.

كان فيدال دولابلاس، على نقيض اسلافه، يبحث دائماً عن تفسير الظاهرة الجغرافية، ويرفض التوقف عند الملاحظة البسيطة للأحداث وتصنيفها. ولم يكن «المكان» وحده المقصود من هذا البحث، بل شمل بحثه «الزمان» و«المدة» أي التاريخ، والعلاقات مع الظواهر الأخرى، جغرافية كانت أم غير جغرافية. ذلك أن «الحدث» في نظره لا يبقى دائماً على حاله، فهو ليس ثابتاً، بل متغيراً، يعطي الظواهر الجغرافية صفة الميوعة، وهذا مفهوم جديد وهام جاء به «فيدال» - والسبب الأساسي، في هذا التغير، هو فعل الإنسان الذي ينتج عن اختيار متعمد، وليس كما يقترح «راتزل» اذ يعتبره نوعاً من التدخل الغريزي الموروث الذي لا يمكن تجنبه، أو انه عمل مدفوع اليه الانسان عفويّاً.

وأخيراً يوضح «فيدال» أهمية العلاقات، كالتبادل بأنواعه، والمواصلات، في حياة الأقاليم والبلدان. وهذه العلاقات تزداد أهمية مع كلما ازداد التقدم البشري.

أما «راتزل» فقد اعتمد في نظريته قبل كل شيء، على عنصرين أساسيين

تقدمهما الجغرافيا - السياسية وهذين العنصرين هما : المكان او المجال محدود الاتساع، ومميزاته الطبيعية، ومناخه الخ . و«الموقع» الذي يحتله المكان المحدد فوق الكرة الأرضية، ويحدد نوعاً ما علاقاته . ويتحكم «الإحساس المكاني» بتصرفات الإنسان، أي قابلية وقدرة الشعوب على التأثير بالطبيعة . وتنظيمها واصلاحها . وهذا يعني أن مؤهلات الشعوب للتنظيم والقيادة تتفاوت فيما بينها أي أن قدرتها على حكم نفسها او فرضها السلطة على الآخرين تختلف من شعب لآخر . كما يمكن لهذه الملكات ان تدبّل وتختفي نهائياً، ويمكن أيضاً أن تغرس وتنمى : وهكذا نستطيع ان نتلمس في هذه النظرية شيئاً من «الروح العنصرية» أو التفوق العنصري .



شكل - ١ -

الجزيرة العالمية التي تخيلها مكدنور وتظهر عليها «مقلته» عن قلب الأرض .

وعلى الرغم من كل ذلك، فإن نظرية راتزل لم تكن مغرضة وعدوانية فقط، بل يعتبر تمييزها بين «المكان» و«الموقع الطبيعي» بجدارية، رافداً فعلاً يحتفظ بصحته وفائدته حتى الآن. ويعتبر «ماكندور» الكرة الأرضية «كتلة واحدة من اليابسة»: ويطلق على مجموع القارات الثلاث، أوربا، وآسيا وإفريقيا، اسم «الجزيرة العالمية» (World's land). وهو يرى أن مركز هذه الكتلة هو أهم منطقة بها، ويسمونها «قلب الأرض»؛ وينطبق هذا المركز على موقع روسيا تقريباً (انظر الشكل رقم - ١ -). وهكذا يصل ماكندور إلى عبارته المشهورة: «إن من يسيطر على أوربا الشرقية يسيطر على قلب الأرض؛ ومن يسيطر على قلب الأرض يحكم «الجزيرة العالمية»، ومن يمتلك هذه الجزيرة العالمية يحكم العالم».

إن هذه النظرية الخلابة تدعو إلى التكفير في تاريخ أوربا الذي تفسره العوامل الجغرافية: وهي بمثابة درس «للقوى البحرية» يفهم منه «أن البحراً يشكل ميزة بحد ذاته، وإنما يساعد على تنظيم للقوى غني بالإمكانيات».

وبالاحظ مع ذلك أن هذه النظرية أغفلت العوامل الجديدة الهامة التي تتعلق بتكنولوجيا الفضاء، كما أن تصاعد القوة الأميريكية وتنظيمها اضطرت ماكندور إلى تعديل نظريته فيما بعد. وأخيراً فقد حملت هذه النظرية صاحبها على ضرورة الحصول على «توازن سياسي» وذلك عن طريق توحيد المجتمعات ذات المصالح والمثل العليا الواحدة. كما يساعد على تنظيم «الأمكنة» (جمع مكان)، بشكل سليم وفعال، ومن هذه الناحية تبقى نظريته سارية المفعول حتى الآن.

ويعتقد «ماكندور» أن توزيع الأراضي والبحار هو العامل الرئيسي، وينطلق من هذه الفكرة ليميز بشكل أساسي بين «القوى البحرية» و«القوى القارية»^(١)، ونستخلص من هذا «أن الدولة التي تمتلك القوة في البر والبحر معاً ستكون هي السيدة»؛ ولا يمكن تحقيق هذا الشرط إلا إذا توفرت للدولة «كتلة

قارية» متجانسة. منفتحة على المحيطات وقوية بما فيه الكفاية . «ولما كانت روسيا وحدها هي التي تملك مثل هذه الكتلة الأرضية ، فلا بد من منعها من الحصول على منافذ للبحار الحرة، إذا ما أريد الحيلولة بينها وبين الهيمنة على العالم» .
وهذه الخلاصة أيضاً لا تزال صالحة تماماً على ضوء الأوضاع الراهنة في العالم .

٤ - الآراء الحديثة :

تابع احفاد فيدال لابلاس ، في فرنسا ، منهجه الحذر والمتنوع ، وتجنبوا مثله وضع «مذهب قطعي» يمكن استغلاله سياسياً ، ويمكن ان نذكر من بين هؤلاء السادة : فالو VALAUX ، وبرونيه BRUNHES ، واندريه سيغفريد ANDRE SIEGFRIED ، وغوتيه GAUTHIER وديميزون DEMAISON ، وغوتمان GAUTTMAN .

أما في الولايات المتحدة ، فقد ظهرت نظريات أصيلة تحمل الطابع الفكري المثالي والجريء بأن واحد .

غير أن الجغرافيا - السياسية ، في ألمانيا اخذت شكل «العقيدة السياسية المنهجية» وساهمت بالإنحاء بـ «القومية الجرمانية العنصرية» مما عرضها للإدانة من الناحية الأخلاقية .

وقد تبنى آراء «راتزل» العالم السويدي KJELLEN ، واتخذ نفس مواقفه من الفلاسفة الألمان في القرن التاسع عشر ، واعطى دفعة جديدة للمدرسة الألمانية في فترة الحرب العالمية الأولى ، وحاول في كتابه الجديد الذي سماه «GEOPOLITIK» وضع مذهب «يشبه به الدولة بالإنسان ، ويقارن بين أجهزة الدولة واعضاء الإنسان ، ويستنتج من ذلك أن الدول في علاقاتها تتصرف كما يتصرف الإنسان» .
وأخيراً أيد البروفوسور كجيلن «نظرية تفوق العرق الجرمانى» ومؤهلته القيادية الممتازة «RAUMSNN» .

ويأتى بعد كجيلن ، رجل ألماني أصيل هو البروفوسور كارل هوشوفر

KARL HAUSHOFFER ، لیتزعم «مدرسة موجهة» تماماً. وكان هوشوفر جنرالاً في الجيش واستاذاً في الجامعة، أي أنه كان عسكرياً وسياسياً في آن واحد، فجمع الصفات اللازمة لنشر الدعوة لمذهب قومي «سياسي علمي» تبناه القادة النازيون وايدوه بحماس شديد. فبعد أن أكد آراء «راتزل» و«كجيللين»، انتقل إلى تدعيم نظريته بمهارة خارقة، مستنداً إلى مراجع أجنبية. وكان يكفيه أن يوسع قليلاً نحو الغرب «قلب الأرض» الذي نادى به ماكندور البريطاني لكي يجعل آراء هذا الأخير في خدمة «القضية الألمانية».

وفي رأي هوشوفر أن الجغرافيا - السياسية يجب أن تكون «دليلاً لوجدان الدولة السياسي».

إن النجاح الظاهر لهذه «المدرسة الألمانية» وانتصارات أدولف هتلر الأولية السريعة، شجعت «اتباعها اللامعون» على المضي في هذا الطريق. فظهرت «الدعوة الفاشستية» في إيطاليا لتطالب بالسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط وأحياء الامبراطورية الرومانية؛ وتكرست فكرة «المجال الحيوي» في ألمانيا النازية، بينما أخذت اليابان تبج بالدعوة لـ «آسيا الكبرى» تحت زعامتها بالطبع. وأنه لمن الغريب أن نجد آثار هذه النظرية تغزو الولايات المتحدة الأميركية، حيث أخذت بعض الشخصيات المعروفة تستعير منها الآراء عن الجغرافيا - السياسية دون أن تفتن في البداية لروحها العدوانية المغرضة. غير أن أحداث عام ١٩٤٢^(١) ما لبثت أن أدت إلى ردود فعل شديدة، وأصبح كل ما له علاقة بالجغرافيا - السياسية «مخرباً وشيطانياً» إلى حد ما في نظر الرأي العام الأميركي.

وإذا ما استثنينا هذه الظاهرة، نلاحظ ظهور اتجاهات جديدة جديدة بالاهتمام في الولايات المتحدة الأميركية خلال السنوات العشرين الأخيرة. فقد

١١ - من أهم أحداث ١٩٤٢، الغارة اليابانية المفاجئة على ميناء «هاربر» والتي أدت إلى إعلان الولايات المتحدة الأميركية الحرب على اليابان. وهي من أهم القواعد البحرية الأمريكية في جزر هاواي.

طور الاستاذ سيكمان SPYKMAN نظرية ماكندور بالنسبة للعالم الجديد (القارة
الاميريكية) وذلك بتطبيقها على خارطة هذه القارة، وتوصل إلى خلاصات مماثلة
(لما توصل اليه ماكندور) بالنسبة للاتحاد السوفياتي .

وابرز الاستاذ بومان BOWMAN الامة البالغة للعنصر البشري ، وجسد
«الزحف المستمر لجبهة الحضارة باتجاه الفراغ ، (أو ما يطلق عليه اسم الأمكنة غير
المتنجة) وباتجاه البربرية (والمجتمعات غير المتطورة) . ونادى بومان بانتصار
الحضارة ، وانتصار الانسان على الطبيعة .

وأخيراً بنى الاستاذ هنتنجتون HUNTINGTON «حتمية الجغرافيا» كمنهج
فكري ، واعطى «للمناخ» اهمية خاصة ودوراً حاسماً ، وصاغ نظريته عن
«الجفاف» لكي يشرح فيها التبدلات الكبرى في التاريخ . وتبدولنا هذه النظرية
ميالة للمطلق ABSOLU .

٥ - اتساع المجال الطبيعي للجغرافيا :

يقال أن التقدم قصر المسافات ، وقلص أبعاد العالم ويسر التعرف عليه .
وهذا صحيح إذا نظرنا للأمور نظرة سطحية .

ولكن هذه التسهيلات تقترن دائماً بجزية لا بد وان يدفعها الانسان مادياً
ومعنوياً . فامكانيات التبادل المتزايدة والمتنوعة ، تحمل في طياتها مشاكل جديدة
وشديدة الخطورة أحياناً . وتعقيد النظام الاقتصادي والتحرر السريع للشعوب
الخ . . تطرح مشاكل هائلة غالباً ما تختفي مصاعبها الحقيقية خلف تسهيلات
ظاهرة . كما أن معطياتها بتغير مستمر ، وكثيراً ما يجري هذا التغير بسرعة مذهلة
تعطل الحلول السياسية التي أنشأتها بعد جهود مضنية .

لذا نلاحظ ان مجال الدراسة والبحث يزداد اتساعاً يوماً بعد يوم ، بدلاً من
أن يتضاءل نتيجة للمنجزات والاكتراعات الجديدة . كما نرى أن «المجال
الطبيعي للجغرافيا» يكبر إلى درجة اصبح معها يمتد في «الأبعاد الثلاثة» ويشمل
مناطق جديدة على وجه الكرة الأرضية نفسها .

ولقد ساعدت العلوم على اكتشاف «قيمة» بعض المناطق الصحراوية التي ظلت مهملة زمنياً طويلاً؛ وظهر أن هذه المناطق تحتوي على مواد أولية كثيرة، وتحتزن في باطنها كميات هائلة من الطاقة، هذا بالإضافة لهذه المناطق بحد ذاتها أهمية استراتيجية حيوية بسبب موقعها الجغرافي، وهكذا اكتسبت أهمية ومكانة ممتازين بالنسبة للسياسة الدولية.^(١٢)

هذا وتزداد أهمية الفضاء الخارجي يوماً بعد يوم، كلما ازداد مدى المركبات الطائرة (من طائرات وصواريخ واقمار صناعية وسفن فضائية)، ويطرح ذلك على البشرية مشاكل جديدة، أدى بعضها بالفعل إلى نزاعات سياسية خاصة بالنسبة «للمجالات الجوية الوطنية».

وأخيراً فإن استطلاع اعماق البحار والمحيطات وتوفر بعض الامكانيات العملية لاستثمار ثرواتها المخزونة، فتحت مواضيع جديدة للنقاش. ومن المعروف أن الولايات المتحدة الأميركية اتخذت موقفاً صريحاً في هذا المجال، وذلك بالبيان الذي أصدره الرئيس ترومان، وحاول فيه، أن يعطي «الصفة الوطنية» لأبار البترول العائمة فوق سطح البحر.

والجغرافيا - السياسية العادية تعطي وصفاً لتقسيمات العالم على شكل دول، في مرحلة زمنية معينة. أما المعلومات الخاصة ببعض المناطق الواسعة فغالباً ما تكون أميل للعموميات والشمول ولا يمكن اعتبارها «تركيباً».

أما العوامل الحاسمة من الناحية السياسية، فتعالجها فروع الجغرافيا الأخرى، بشكل منطقي ظاهرياً، ولكنه غالباً ما يكون سطحيّاً، ومن هذه الفروع: الجغرافيا - الطبيعية، والجغرافيا - البشرية، والجغرافيا - الاقتصادية، الخ.

١٢ - ومن الأمثلة الصارخة على ذلك الامة الكبرى لكل من الاسكا، والقطين الشمالي والجنوبي، والصحراء الكبرى وبشكل خاص، الربع الخالي في السعودية ومناطق البترول في الجزيرة العربية اجمالاً. (المغرب).

أما «الجغرافيا - السياسية» فتسعى جاهدة للربط بين كل هذه العناصر، واستنتاج أسبابها الحقيقية، وتطوراتها، وتأثيرها المتبادل، لكي تصل إلى «تركيب» وضع سياسي قائم وتحديد امكانياته. وهي غير ساكنة، ولا تكتفي ابداً بأن تكون «محضر ضبط» لا يتبدل إلا بتسجيل ملايسات الاحداث اللاحقة. وهكذا نرى ان «الجغرافيا - السياسية» تنبض بالحياة، كالأحداث التي تعالجها.

وفي رأي السيد جان غوتمان Jean Gottman «أن الوقائع في السياسة وفي الجغرافيا ليس لها قيمة إلا برود داخل المجتمعات. أما السكان فقيمته تتوقف على الإنسان المنظم الذي يعيش فيه».

صحيح أن التفسيرات المغرضة تساعد العقائدي (رجل المذهب) على خدمة أهدافه، والجغرافيا - السياسية الألمانية كانت مثلاً بارزاً على ذلك أدانة العالم، ولكن أليس الأمر كذلك بالنسبة لجميع العلوم، وكل الدراسات؟ يستوي في ذلك علم التاريخ، وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع. . الخ. خاصة إذا سيطرت عليها المصالح والأهواء وتغلبت على الفكر النبيل.

الفصل الثاني

ميزة ومجال الجغرافيا - السياسية

«يوماً بعد يوم، تغدو الجغرافيا البشرية،
جغرافية الإنسان»

● مكي سور

١ - العوامل الثابتة

آ - المكان وتقسيماته : تهتم الجغرافيا - السياسية بدراسة «المكان» فوق الكرة الأرضية، في نطاق سكناه أو استخدامه من قبل الإنسان . فالميزات الطبيعية، والاقتصادية والتقنية، والثقافية، والدينية، والعرقية، والتاريخية، والحقوقية، والاستراتيجية، تتداخل ببعضها لتعطي للعالم تنوعاً لا نهاية له . وهذا التنوع نفسه في تطور مستمر، لأن الإنسان يتدخل بالعناصر، حتى الثابتة منها، والطبيعية بشكل خاص - ليغير علاقاتها . وهكذا فإن العناصر التي

تشابه في الأصل، يمكن أن تختلف أحياناً اختلافاً عميقاً، تبعاً للتنظيم الداخلي لشعب ما، وللمؤثرات الخارجية التي تلتقاها من الشعوب الأخرى. هذا بالإضافة إلى أن طاقات شعب ما تتبدل مع الزمن شأنه في ذلك كشأن الأفراد، ويختلف نفوذه طبقاً لهذا التبدل.

وهكذا فإن «المكان» متميز ومنظم بآن واحد. وحدوده السياسية - أي تقسيماته إلى دول أو مجموعات دول ذات نظام واحد - هي الإطار الذي تمارس فيه السياسة بهدف الحصول على التغييرات الضرورية.

أما على الصعيد الدولي، فإن الرغبة بالتغيير، الذي يفيد دولة واحدة على حساب الدول الأخرى، معناها ممارسة سياسة الاحتلال للسيطرة. أما رفض التغييرات التي تقتضيها حياة العالم، فمعناه العزلة السلبية أو الطوباوية. والحكمة هي القاسم المشترك بين هاتين السياستين. وهذا ينطبق تماماً على المستوى الاقليمي.

ب - الأرض: إن أراضي دولة ما، تشكل العنصر الأساسي للحدود السياسية، وتتميز بمساحتها، وبنيتها الطبقيّة وهيأتها الخارجية، وأخيراً بموقعها الذي تعلق عليه الجغرافيا - السياسية أهمية خاصة. وبالإضافة إلى ذلك فإن وجودها في منطقة ذات «مناخ» معين يحدد على وجه التقريب انتاجها والمميزات الطبيعية والمعنوية لشعبها.

والأرض، بالنسبة لشعب ما، هي قبل كل شيء الشروة الوطنية المقدسة التي لا يجوز مسها. وأن الوسيلة الوحيدة لتبديلها هي «الحرب» أو الرغبة المطلقة الاجماعية للذين يسكنوها.

١ - المساحة: لم يعدد للمساحة تلك القيمة التي كانت تعطى لها في الماضي، عند المقارنة بين الدول الصغيرة والكبيرة، حتى عند التساوي بعدد السكان؛ فهناك عوامل أخرى تدخل في مثل هذا التصنيف وخاصة منها، النظام الاقتصادي وصفات الأمة نفسها، وبهذا تصبح بعض النظريات القديمة خاطئة؛

كالنظرية التي تنادي «بإتساع مساحة الدولة، أو المجال الحيوي»، والواقع ان «النوعية» هي العنصر الأفضل.

ومع ذلك تبقى المساحة المستثمرة جيداً، عاملاً أساسياً للقوة؛ وسوف نرى محسناتها الاستراتيجية كما سنشير بشكل خاص إلى «مفهوم كتلة الوسائل» التي أصبح عاملاً حاسماً في الحياة الحديثة.

٢ - البنية الطبيعية: على الرغم من أن البنية الطبيعية هي أكثر العوامل ثباتاً، إلا أن كل عنصر من عناصرها قابل للتبدل مع التقدم. فالري مثلاً يُحْيِي الأراضي كانت مجدبة في الماضي؛ كما أن نضوب بعض الخزانات الجوفية أو اكتشاف جيوب جديدة يغير من قيمة الأراضي.

والواقع أن تدخل الإنسان في هذا الميدان يعتبر حاسماً، لأن روح المغامرة والحس التنظيمي يغيران الطبيعة السلبية، فإصلاح الأراضي، وإنجاز خطط التنمية الصناعية أو الزراعية، وتنظيم التبادل فيما بينها، يعطي للأرض الحياة، ويساعد على تحقيق فعالية أكبر في مجال الدفاع الوطني.

٣ - الهيئة والتضاريس: ويحددها خط الحدود الذي يعود تخطيطه لأسباب متعددة: كالرغبة بالأمن والوراثية، والمعاهدات، والضُم، وقد تتبع الحدود أحياناً خطاً طبيعياً (مثل ذرى الجبال، أو مجاري المياه، أو الشواطئ)؛ كما يمكن أن تكون وهمية محضة أحياناً أخرى، (موازية أو منطبقة إحدى خطوط العرض مثلاً)، وإن الشعور الوطني يعطي للحدود قيمة رمزية وهذا شيء حسن، غير أن السياسة الواقعية يجب أن تنظر إليها بشيء من المرونة في الظروف الاستثنائية الخاصة، واستناداً لعوامل خاصة.

ومن بين هذه العوامل الخاصة، هي الميزة التي يمتاز بها سكان مناطق الحدود، الذين يوحون الحذر والود في آن واحد حيال جيرانهم ويعملون غالباً للتبادل التجاري والثقافي مع البلاد المجاورة.

والعامل الآخر هو نفوذية الحدود السياسية (أو قابليتها للتسلل والامتصاص) مما يساعد على التبادل والتفاهم؛ وهذه الصفة لا علاقة لها، أغلب

الاحيان ، بالنفوذية الطبيعية : فالستار الحديدي مثلاً على الرغم من أنه وهمي ومصطنع ، ولكنه يشكل حاجزاً أكثر فعالية من «نهر الزين» أو «جبال الألب» . وبهذا يمكن القول «أن الحضارة تقاس بمدى نفوذية الحدود» ، وقد برهنت على ذلك اوربا في القرون الأخيرة .

والشاطيء البحري يشكل حداً طبيعياً واضحاً ، ويمكن أن يكون مفتوحاً جداً او مغلقاً حسب رغبة الدولة ، وتمتاز الحدود البحرية بامتدادها حتى نهاية المياه الإقليمية وفقاً للقانون الدولي .

جـ - الموقع : La Position ، هو عامل اساسي بالنسبة للجغرافيا - السياسية ، وعليه تتوقف الاتصالات مع الخارج ، التي تعتبر بدورها شروطاً أساسية للقوة . وقد أحدث تطور الطيران تغييراً نسبياً في قيمة الموقع الجغرافي ، إلا أنه لم يقلل من هذه الحقيقة الأساسية ؛ وان نشاط المطارات الدولية الكبرى ذات الموقع الممتاز ، للدليل واضح على ذلك ، وعلمنا أن نلاحظ بأن محسنات موقع ما ليست حقيقة إلا بمقدار ما تجهز الدولة بالوسائل التي تسمح باستثماره ، وبالرغبة الصادقة بذلك . وإذا كانت هذه المزايا تخص ممراً اجبارياً للمواصلات الأجنبية ، فإنها تتطلب وجود قوة قادرة على حماية حقوق الدولة صاحبة الممر بدءاً من «حق السيادة» . وإذا كانت ميزة الموقع تعود للتسهيلات التي تساعد على الاشعاع البعيد ، فإنه يحتاج الوسائل المادية لتأمين اتصالاته مع الخارج والدفاع عنها .

١ - المواقع البحرية : - منذ أقدم العصور كان الاتصال بالبحر من أبرز الشروط الملائمة لتوسع بلد ما ، ويمكن القول انه ضروري من أجل بلوغ درجة معينة من القوة العالمية ، ولا يمكن تصور ذلك إذا لم تتحرر الدولة من الوسطاء في علاقاتها الخارجية . وعلى الرغم من وجود بعض الأمثلة عن دول قوية شدت عن هذه القاعدة ، غير ان البلدان التي في مثل هذا الوضع ، تعتبر محاصرة سلفاً ويشكل طبيعي ، وبالتالي يمكن احتواءها بسهولة ، وهي أخيراً محكوم عليها بالعودة إلى الضعف الذي يتلاءم مع موقفها ، إلا إذا استطاعت الحصول على منافذ للبحار تتنفس منها .

ومن هنا يمكن أن نفهم مغزى الجهود الجبارة التي كانت تبذلها بلدان كالمانيا وروسيا، للحصول على القوة البحرية، منذ اللحظة التي تشعر فيها بأنها أصبحت في مستوى القوى الأوربية الكبرى أو في مصاف القوى العالمية العظمى، ولهذا نجد ان غليوم الثاني امبراطور المانيا وبطرس الأكبر قيصر روسيا كانا متمسكان بهذه الفكرة إلى حدود الموت. وعلى عكس ذلك فإننا نجد بعض الأمم لا تستغل مميزات مواقعها البحرية الملائمة لأن «العادة» جعلتها تنعم بجهل أسباب القوة التي توفرها لها هذه المواقع.

من الجدير بالذكر ان توزيع الأرض والبحار تزداد أهمية إذا كانت الخلجان العميقة، ومصبات الأنهار، والأنهار نفسها، تطيل الطرق البحرية حتى تبلغ قلب البلاد. ومن المعروف أن «طبائع» السكان تتأثر بهذه الحالات، ويؤدي بها ذلك إلى اتخاذ مواقف سياسية واجتماعية خاصة إلى حد ما.

ويمكن القول أن «الحضارة الغربية» التي تتصف بالمرونة والذكاء، كانت ذات أصول بحرية أساساً، أي أنها ترجع إلى أصول متوسطية (نسبة للبحر الأبيض المتوسط) وأطلسية (نسبة للمحيط الأطلسي). وان الفكر المطلق والدكتاتورية السياسية يولدان ويتعرعان في البلدان القارية^(١).

والموقع الساحلي هو «حد دولي» بنفس الوقت ولكنه ليس على تماس مباشر

١ - ان هذا الجزم يعوزه المنطق العلمي، وبالرغم من أن المؤلف يضمم الاستشهاد بأمثلة محددة ومعروفة، إلا أن هناك بعض الأمثلة التي تضمف حجته ويمكن أن نسوق منها على سبيل المثال لا الحصر، الدكتاتوريات في اليابان وهي «جزيرة» أي قوة بحرية، والدكتاتوريات في الجزر الجنوبية من القارة الأميركية، وهي جزيرة ضخمة أيضاً، وترجع الدكتاتوريات فيه لأسباب يمكن أن تكون مفتعلة، كما يمكن أن نسوق «الحضارة العربية الإسلامية» و«الحضارة المسيحية» اللتين نشأتا على أرض شبه الجزيرة العربية، واعطتا للإنسانية عامة وقيماً جديدة لا تزال حتى يومنا هذا مصدراً فياضاً لا ينضب معينه كما جعلت من سعادة الإنسان الفرد وكرامته هدفاً اسمي تسعى لتحقيقه كل الأنظمة الديمقراطية في العالم. (المغرب).

مع الدول المجاورة، وهو بمثابة منطقة تحول بالنسبة للبلدان النشيطة المنفتحة على بقية اجزاء العالم، يساعدها على تحقيق الثروة من علاقاتها الملائمة مع الخارج. والبلدان الساحلية تستفيد من المناخ البحري الذي يمتاز باعتداله ويساعد على تنوع الانتاج، كما ان انفتاحها على البحاري يهيء لها التعامل مع كل الشعوب من مختلف الجنسيات، وبذلك يصبح سكانها على احتكاك بكل الثقافات مما يجعلهم اكثر اصطفاً من سكان المناطق الداخلية؛ واخيراً فإن هذا التنوع المزدوج، يضاف إلى خصائص اخرى ليعطي للبلدان الساحلية امكانيات كبيرة للقوة والتوسع (إذا هي وعت ذلك). البرزخ Les Istmes.

والجغرافيا - السياسية تتفق هنا أيضاً مع الجغرافيا - الاستراتيجية، فتعطي للبرزخ^(٢) أهمية خاصة، باعتبارها مناطق ضيقة ترميها بالضرورة المواصلات البرية ويتقارب فيها نفوذ بحرين وغالباً ما يكون التقارب بين عالمين. وعندما

يعترض المواصلات حاجز جبلي ما، فإن طريق التبادل البري بين البحار (الواقعة على جانبي البرزخ) يزداد أهمية على طرفي هذا الحاجز: والمثال على ذلك هو أن جبال البيرنيية تفصل فرنسا عن اسبانيا، ولكن البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي متصلان بواسطة البرزخ الذي يبدؤ من روسيون (Roussillon) وينتهي عند موقع (Medo) ميدوك^(٣).

وقد لا يخلو من فائدة، التذكير بالدور الكبير الذي لعبته بعض البرازخ في

٢ - ISTHME البرزخ وتعريفه في الجغرافية الطبيعية هو: لسان من اليابسة ينحصر بين بحرين ويصل بين أرضين.

٣ - روسيون Roussillon إحدى المقاطعات الفرنسية تشمل منطقة البيرنييه الفرنسية الشرقية وميدوك Medoc : منطقة فرنسية تابعة لبوردو، وتقع على الضفة اليسرى لنهر الجيروند ابتداء من بلانكيغورت وحتى البروز الساحلي في غراف.

تاريخ البشرية لأن اسماء السويس ، وكورنثا ، وبناما وسليسيج^(١) لا يمكن فصلها عن هذا التاريخ ، فقد كانت مصادر للثروة ومواضيع للصراع ، وهي بالإضافة إلى ذلك أماكن لأعمال كبيرة ، لأن حاجة الانسان لوصل البحار أدت به إلى خرق هذه البرازخ (واقامة اقنية صالحة للملاحة) فزادت أهميتها على الصعيد العالمي .

واصبحت قناة السويس ، وقناة بناما ، وقناة كييل^(٢) من أهم النقاط المفتاحية الحيوية وتوفر السيطرة عليها ثلاثة مزايا أساسية: سياسية ، واقتصادية واستراتيجية .

ان الأهمية العظيمة للبرازخ التي تظهر في هذه الحالات الخاصة جداً ، تحتفظ بقيمتها على مستويات أكثر اتساعاً . فالجغرافيا - السياسية تنظر لاوربا كـ «شبه جزيرة» تحتوي على عدد من البرازخ التي تسبح في مياه البحار في الجنوب والشمال ؛ وستكلم عنها في بحثنا عن الجغرافيا - الاستراتيجية . ولكن يجب ان نسجل هنا أن الحاجة لمضاعفة الطرق البرية بطرق ملاحية تبرز بوضوح في هذه المستويات : فالاتحاد السوفياتي مثلاً انجز فعلاً ، ولا يزال يقوم بأعمال ضخمة لوصل نهر الفولغا ونهر الدون بالبحر الأبيض .

المضائق Les Detroites : تلعب المضائق أيضاً أدواراً عظيمة الأهمية ، لأن المواصلات البحرية تمر منها بالضرورة . وإن كل دولة تشرف على مضيق ما انما تشرف على المواصلات الدولية التي تمر فيه . ولمواقع المضائق قبل كل شيء أهمية استراتيجية ، وهي بنفس الوقت صالحة لرسو السفن واغلاقها ، الأمر الذي يجعل

٤ _ SLESVIG : أو SCHLESWIG-Holstein وهي من مقاطعات المانيا الغربية الشمالية الواقعة على بحر البلطيق وعاصمتها مدينة كييل Kiel . ويصل هذه المنطقة إلى بحر الشمال بواسطة القناة بقناة كييل .

٥ _ KIEL : قناة كييل التي تصل من بحر البلطيق وبحر الشمال . وتقع في مقاطعة سكيتزوين هولشتاين في المانيا الغربية .

منها مصدراً عظيماً للشروة . وغالباً ما تقام المدن والموانئ الكبيرة ذات النفوذ الواسع على شواطئ المضائق . ويذكر التاريخ أن الغزاة المتعاقبين استطاعوا عبر الزمان أن يغيروا مدينة واحدة - تقع على شواطئ مضائق البوسفور - ثلاث مرات تحسب كل منها مرحلة تاريخية : بيزنطة ، فالقسطنطينية ، ثم استانبول . وعلى الرغم من أن تطور الطيران أفقد هذه المضائق الكثير من أهميتها لقدرته على تجاوزها ، إلا أن مضيق البوسفور مثلاً سيبقى مع ذلك إحدى نقاط العلام في السياسة الدولية ؛ وإن الامبراطورية البريطانية ما كان لها أن تلعب أدوارها العظيمة (وتبلغ أوج عظمتها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) لولم تكن مسيطرة على مواقع جبل طارق ، ومالطة ، وعدن ، وسنغافورة (التي تتحكم بأعظم المضائق التي تمر منها المواصلات البحرية بين الجزر البريطانية والشرق الأوسط والأقصى ، وشرقي أفريقيا) . .

الجزر : هي مواقع بحرية صرفة ، وتستحق لهذا اهتماماً خاصاً ، غير أنه لا بد من الحديث عما يسمى بـ «المواقع الجزيرية» *des positions insulanes* ؛ وكذلك المناطق التي تعزلها عن القارة عوارض طبيعية لا تسمح بالمواصلات البرية العادية مما يجعلها غير قادرة على إقامة علاقات مع بقية أجزاء العالم إلا عن طريق البحر أو الجو ، وهذه هي الحال بالنسبة للبلدان التي تشكل مواقعها أشباه جزر مثل : اليونان ، وإيطاليا ، واسكندنافيا ، والبريا (اسبانيا والبرتغال) والمغرب (العربي) ، وجميعها معزولة عن القارة بسلاسل جبلية أو بصحارى صعبة المسالك .

والموقع الجزيري يساعد على الاستقلال وحرية العمل ، ويوفر للبلد محسنات كبيرة ، كالموانئ ، والتعامل التجاري براً وبحراً ، كما يشكل مركز إشعاع يطل من جميع جهاته على العالم فيؤمن لصالحه حرية اختيار النقاط التي يريد لها لتطبيق قوته . . أي أن يجعل جزيرته قلعة حصينة أو نقطة انطلاق تهدد الآخرين باستمرار .

هذا بالإضافة إلى أن سكان الجزر يتمتعون بصفات ملائمة تمكنهم من

استغلال خصائص بلدهم ، وهذا هو شأن شعوب جزيرة كرنب واليونان القديم واسبانيا والبرتغال (في عصر النهضة) وانكلترا الحديثة واليابان .

ولعل من المفيد النظر من هذه الزاوية لتاريخ الولايات المتحدة الأميركية الذي تأثر إلى حد بعيد بانكلترا ، وذلك لأنها (أي انكلترا) لم تعدل عن مطامعها التوسعية في القارة الأوروبية إلا في القرن الخامس عشر، عندما عت خصائصها البحرية . ومنذ ذلك الوقت استطاعت ان تصبح سيدة البحار دون منازع ، وان تفعل كل شيء من أجل المحافظة على هذا المركز . وهكذا أصبحت تتمتع بالحرية الكاملة في اختيار حلفائها ، فتدخلت في القارة الأوروبية وفي القارات الأخرى ، وأقامت التجمعات الأقل قوة لتطوق بهم خصومها الأكثر قوة (وهذا هو شأن اسبانيا وفرنسا وروسيا والمانيا فيما بعد .) ، وقد تمكنت بريطانيا منذ ذلك الوقت باعتبارها «الحكم الوحيد للتوازن الاوربي» أن تستغل امكانياتها الجزيرية على اكمل وجه : ففجرت الثورة الصناعية على أرض الجزيرة - ونظمت التجارة في ما وراء البحار وأقامت الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس .

وفي القرن التاسع عشر بدأت روسيا العملاقة تتطور ، وأخذت قياصرتها يمارسون سياسة توسعية برية وبحرية باتجاه «البحار الدافئة» ؛ هذه السياسة التي تابعتها الاتحاد السوفياتي بعد ثورة أكتوبر .

أما انكلترا الذرائعية فسرعان ما نسيت حقدتها على مستعمرتها الامريكية القديمة التي طردت منها نهائياً عام ١٧٧٦م^(١) ، واستدارت نحوها من جديد لتقيم معها اسساً جديدة قوية لتفاهم انكلو- ساكسوني ، استطاع أن يصمد امام كل التجارب على الرغم من ان هذه الاسس لم تقترن بأية معاهدة رسمية . وكان الفضل في وضعها لرجل الدولة البريطاني CANNING^(٢) .

٦ - اعلان الاستقلال الاميريكي بتاريخ ٤ تموز ١٧٧٦م .

٧ - Georges. Canning (جورج كانينغ رجل دولة بريطاني ولد في لندن (١٧٧٠ - ١٨٢٧م) أصبح وزيراً للخارجية البريطانية (١٨٠٧ - ١٨٠٩) ثم كلف للمرة الثانية بهذه المهمة في عام ١٨٢٢ ، وتقلد رئاسة الوزارة البريطانية عام ١٨٢٧م .

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية على استعداد للتدخل في أوروبا وخارجها إذا لزم الأمر، وأصبح «مذهب مونرو» في حقيقته العملية أقل انعزالية، وأميل إلى «المفهوم السياسي الجزيري» على الأسلوب البريطاني، ولكنه متلائم مع المقياس الأمريكي.

لقد أدرك العلامة الفرنسي توكفيل^(٨) هذه السياسة، فكتب متنبئاً منذ عام ١٨٣٥ ما يلي: «هناك، اليوم، شعبان انطلقا من نقطتين مختلفتين ويتقدمان نحو نفس الأهداف، وهما الشعب الروسي، والشعب الانكلو-ساكسوني-أمريكي». وتوقع توكفيل تصادمهما.

والواقع أن الخصام الأيديولوجي عزز التعاضد بين المحيط والقارة، لأن الاتجاه الليبرالي يجري، والاتجاه الدكتاتوري قاري.

ومع احتدام الصراع بين هذين العملاقين، (الاتحاد السوفياتي، والولايات المتحدة الأمريكية) أصبحت الدول الأوروبية كلها «متوسطة» أو «صغرى» وأصبح عليها أن تختار الانضمام إلى هذا المعسكر أو ذاك، ويمكن لبعضها أن تختار بملء حريتها على الأقل.

وهكذا يتفق التاريخ مع الجغرافيا - السياسية بالنسبة للبلدان البحرية الليبالية. وهذا هو المعنى العميق لـ «حلف الأطلسي» الذي يرمز اسمه إلى علاقة أعضائه بالمحيط الأطلسي.

أما اليابان، فإن انطلاقها الهائل منذ بداية القرن ورغبتها بالهيمنة على آسيا، لا يمكن تصورهما إلا بعد أن فرضت سيادتها على المحيط الهادي. وكانت

٨ - Tocqueville أو شارل الكسيس هنري دو توكفيل، وهو كاتب سياسي فرنسي ولد في باريس (١٨٠٥ - ١٨٥٩م) وأقام في الولايات المتحدة بين أعوام (١٨٣١ - ١٨٣٠) ونشر كتابه المشهور الديمقراطية في أمريكا (١٨٣٤ - ١٨٤٠) ثم أصبح نائباً في عام ١٨٣٩م ثم وزير للخارجية الفرنسية عام ١٨٤٩ ونشر في عام ١٨٥٦م كتاباً بعنوان «النظام القديم والثورة».

المعرب عن لاروس أونيفرسيل الجديد

الغاية من غارتها المفاجئة على «ميناء بيرل هاربور»^(٨) هي محاولة ضمان هذه السيطرة نهائياً على المحيط الهادي غير ان محاولتها تكللت بالفشل ، وجاءت هزيمتها من «البحر» الأمر الذي له دلالة ايضاً !!

وان انطلاق اليابان المذهل في السنوات الأخيرة ، يعود بالطبع لاسباب داخلية ، تتعلق قبل كل شيء بميزات شعبها ، ولكنه سيبقى معرضاً للنكسات إذا لم تتمكن اليابان من استغلال امكانياتها البحرية المتشعبة ، وقد لا يكون ذلك مستحيلاً ما دامت تطمئن للحماية الأميركية ، حيال تهديد الصين ومطامع الاتحاد السوفياتي .

٢ - المواقع المركزية : Les positions centrales : ان البلد المحاط من جميع جهاته ببلدان أجنبية يعتبر بالتعريف ذا «موقع مركزي» . ويمكن لمثل هذه المواقع أن تكون ملائمة للتطور كما تسمح بالضغط بكل ثقلها على النقاط الخارجية التي تختارها ، بواسطة القوة أو عن طريق سياسة التوازن . ولكن مثل هذا الضغط يكتفي عادة لتوحيد البلدان المحيطة لمواجهة . والتاريخ غني بالأمثلة التي تبرهن على خطورة هذه السياسة وخاصة في أوروبا .

والدولة ذات الموقع المركزي ، تشعر دائماً بأنها مطوقة وخاصة عندما تتيقن من قوتها ، وفي هذه الحالة تصبح فريسة لعاطفتين متناقضتين : الأولى تدفعها لتوسيع «مجالها الحيوي» لكي تكون مطلقة اليد بالعمل على الجبهة التي تختارها بعد اطمئنانها للجبهات الأخرى .

٩ - PEARL HARBOR

٧ كانون اول ١٩٤٢ شن الاسطول الجوي والبحري اليابانيان ، هجوماً مباغتاً على القاعدة البحرية الأميركية في ميناء بيرل هاربور التي تقع في جزر هاواي ، ودمر الاسطول الأمريكي الموجود فيها ، وفي صباح ٨ كانون اول من نفس العام اعلنت اليابان الحرب على الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا ، واستراليا وفي ١١ / من نفس الشهر قطعت روما وبرلين علاقاتها مع واشنطن . (المغرب) .

والثانية، تبرز عند قيام أزمة حقيقية او وهمية، فيتصور عندئذ أنها مهددة من جيرانها مما يزيد عازلة، ويدفعها لتبني سياسة عدوانية مغامرة تهدف إلى فرض هيمنتها أو خلق حزام أمن من الدول الضعيفة المحيطة بها^(١٠)، وبذلك تصبح هذه الدول معرضة للخطر على الدوام، بل قد لا تلبث ان تصبح مسرحاً لحروب عديدة دامية، واحياناً قد تفقد حريتها واستقرارها لمدة طويلة كما كانت الحال بالنسبة لبولونيا^(١١).

والدولة المركزية تتقاسمها نزعتان في آن واحد، احدهما تدفعها للتوسع، والآخرى تجعلها في خوف دائم من الحصار. وقد تعرضت المانيا لمثل هذه الحالة. كما تبدو آثار هاتين النزعتين على سياسة الاتحاد السوفياتي الحالية. ولا يمكن الحكم على واحدة من هاتين النزعتين بأنها اكثر خطراً من الأخرى على السلام.

ولم يستطع تطوّر الطيران، تخفيف المصاعب التي تعاني منها الدول المركزية؛ لأن حملته لا زالت وستبقى محدودة، بالإضافة إلى أن الخطوط الجوية لا

١٠ - ان شعور اسرائيل «بالغربة» عن المنطقة، وعزلتها في العالم العربي المحيط بها، بالإضافة إلى طبيعتها الأصلية كمخلب من مغالب الاستعماريين القديم والحديث، جعلها تسير على سياسة التوسع والعدوان والغدر وتبني مبادئ التفرقة العنصرية لتغرس وتكرس الحقد في نفوس سكانها ضد الشعب العربي خاصة وضد كل الحركات التحررية في آسيا وأفريقيا باعتبارها حليفاً طبيعياً للثورة الفلسطينية. (المغرب).

١١ - بولونيا كان تاريخ هذا البلد سلسلة من المآسي طيلة قرون عديدة بسبب وقوعها بين امبراطوريات عظيمة تحاول كل منها تحسين مواقعها على حساب دولة بولونيا الضعيفة ولهذا كانت ضحية الصراع بين النمسا وروسيا القيصرية والمانيا. بل لعل ذلك ينطبق ايضاً على كل دول البلقان. أما بعد ان اصبح الصراع على مستوى الكرة الأرضية بين «العاملين الكبارين» فقد اصبح كل العالم الثالث تقريباً في نفس وضع بولونيا في القرنين الثامن والتاسع عشر، (المغرب).

تؤمن الاتصالات المباشرة التي تؤمنها المواصلات البحرية، وتبقى خاضعة للمجالات الجوية والمطارات التي تشرف عليها الدول الأخرى .

ومن البديهي أن يكون «الحياض» أمراً مرغوباً فيه بالنسبة للدول المركزية الصغيرة، ولكنها لا تستطيع عملياً المحافظة عليه إلا في الحالات النادرة؛ عندما تكون طبيعة أراضها غير صالحة إطلاقاً لعبور القوات: وهذه هي الحالة الاستثنائية للجمهورية الاتحادية السويسرية، التي تتمتع بسمعة دولية استثنائية أيضاً^(١١).

وأخيراً لا بد من التنويه بأن «الرأي العام» في الدول المركزية الكبرى، يشكل أحياناً عنصراً مهماً لسياساتها التوسعية، وهو نوع من الميل «للعزلة» يشعر به سكان أواسط الولايات المتحدة الأمريكية (Maddel Went)، غير أن هذا الميل لا يمكن أن يتواجد ويشتد إلا إذا كان التطور الداخلي للبلد المعني بكامله لا يزال بعيداً عن بلوغ حدود امكانياته: وهذا يعني أن يكون البلد قادراً على الاكتفاء الذاتي ولا ينقصه المواد الأولية أو غيرها. ويتضاءل هذا «الميل للعزلة» بمقدار ما تظهر الحاجة للمواد الأولية أو الأسواق الخارجية الضرورية لتصريف منتجاته^(١٢).

٢ - العوامل المتغيرة:

١ - السكان: إن أية مقارنة أولية بين شعوب الدول تكشف عن خصائص

١٢ - هناك عوامل تاريخية وسياسية واقتصادية هامة ساعدت على حياض سويسرا بالإضافة إلى بنيتها الجغرافية. من بينها أن الدول الأوروبية الكبرى المجاورة لها (ألمانيا، إيطاليا، فرنسا، النمسا) كانت بحاجة إلى تجميع عقدة المواصلات هذه وتحويلها إلى أرض يمكن إجراء الحوار فوقها بين القوى المتصارعة، كما يمكن لرؤوس الأموال أن تجد فيها الملجأ الأمين الذي يمكنها من ممارسة نشاطها عبر حدود الدول المتصارعة خلال فترات الحرب ريثما يعود السلام وتستأنف نشاطها المشروع بكل حرية. (المعرب).

١٣ - وهذا هو حال الولايات المتحدة خلال مراحل تطورها من العزلة الكاملة إلى التوسع الذي لا حدود له (المعرب).

معقدة جداً. فهناك قبل كل شيء الاختلاف بعدد السكان إذ يتراوح بين بلد وآخر. من عدة آلاف نسمة إلى مئات الملايين. . . غير أن القوة لا تتوقف، إلا في حدود ضئيلة، على عدد السكان، اللهم إلا إذا كانت الفروق العددية بين دولة وأخرى كبيرة جداً^(١٤)، وغالباً ما تكون النوعيات ومستوى التطور هما العاملان الحاسمان.

ولا بد من أخذ عنصر كثافة السكان بعين الاعتبار فعليه يتوقف - إلى حد ما - شروط الحياة وإمكانات إيجاد العمل الضروري للقادرين عليه، وإن المصاعب الجمة التي تنتج عن كثافة السكان، يمكن أن تؤدي إلى المهجرات المتتالية، أو البحث عن التوسع الإقليمي باللجوء إلى العنف أحياناً. وعلى عكس ذلك فإن الدول ذات الكثافات السكانية الضئيلة قد تنقصها اليد العاملة، وتكون عرضة للاستغلال، ومن مصلحتها فتح الباب للمهجرات من الخارج وإلا فلإنها ستخاطر باستقلالها ويستبعد أن يكون ذلك بالعنف أيضاً.

ولا معنى لكثافة السكان بحد ذاتها إلا على أساس الإمكانيات الاقتصادية المتناسبة معها، وهذه تعتبر العامل الأساسي في تحديد الكثافة: فهولندا مثلاً استطاعت تحمل كثافة سكانية بحدود ٢٣٠ نسمة/كم^٢ وذلك عن طريق استثمار طاقاتها المادية والبشرية إلى الحد الأقصى؛ وفرنسا تعيش في مستواها الحالي بكثافة سكانية تعادل ٧٥ نسمة/كم^٢، وارتضت كندا حتى الآن بكثافة سكانية ضئيلة جداً رغم تساع أرضها ورغم المكننة الزراعية. وعلى عكس ذلك فإننا نلاحظ أن البؤس يزداد سنة بعد سنة في الهند رغم ضآلة كثافة السكان.

كما يمكن أن نلاحظ بأن سياسات الدول ترتبط مباشرة بالأوضاع السكانية الداخلية؛ لأن التنظيم الداخلي والبحث عن أسواق لليد العاملة تعتبران من الأهداف الدائمة لهذه السياسة. ومن الجدير بالذكر أن البحث عن الأسواق

١٤ - كالفارق مثلاً بين عدد سكان الصين الذي يزيد عن ١٠٠٠ مليون نسمة وسكان سورية الذي يبلغ حوالي ١٢ ملايين نسمة. (المعرب).

الخارجية (الليد العاملة أو المنتجات) تؤدي غالباً إلى الحصول على عمرات يمكن الوصول بواسطتها إلى الأراضي التي حبتها الطبيعة بالثروة مع قلة عدد السكان . ومن النادر أن تبقى كتلة السكان وكثافتهم ثابتين . لأن التكاثر والهجرة من الخارج يبدلان أحياناً العدد والكثافة ؛ والولايات المتحدة الأميريكية والاتحاد السوفياتي مثالان بارزان على ذلك . وليس من الضروري التذكير بتأثير ذلك على الوضع السياسي في العالم . وهذه الظاهرة بالذات يمكن أن تحدث بهذا الاتجاه أوداك (أي زيادة عدد السكان أو تناقصهم) ولكن بسرعة أقل ، في البلدان المستقرة «ديموغرافياً» ، دون أن تعرف الأسباب الحقيقية لذلك بشكل أكيد .

وللنظام الغذائي والوضع الصحي تأثير كبير على نسبة الولادات أو تكاثر السكان . فالبلدان التي تشكو من قلة الغذاء ، وانتشار الأمراض والأوبئة ، يتضاءل سكانها وتتناقص قوتها ، وسرعان ما يتبدل هذا الوضع إذا تحسنت الأنظمة الغذائية والأوضاع الصحية . أما إذا كان مرد الضعف لأسباب عابرة (كالحروب مثلاً) فإن آثاره تكون محدودة ويمكن تجاوزها بسرعة بعد زوال هذه الأسباب وفي الحالات التي يكون فيها البؤس والفاقة مزمنان (مستوطنان) ، فإن الزيادة في عدد السكان تبلغ أرقاماً مذهلة لا يمكن أن تجارها سرعة التطور الاقتصادي ، ومثل هذه البلدان تصبح بحاجة ماسة للمعونات الخارجية لكي تقيت سكانها في حدود الكفاف^(١٥) .

هذا بالإضافة إلى أن اختلاف نسبة عدد الولادات يترتب عليه نتيجة هامة : ذلك لأن نسبة عدد الشباب لعدد الكهول تتوقف مباشرة على شروط الحياة القائمة ، كما تتوقف عليها أيضاً مستوى فعالية السكان ومردود عملهم ، ومصادر الطاقة البشرية اللازمة للدفاع الوطني .

ومن واجب السياسة ان تتنبأ بهذه الظاهرة وإن تأخذ بعين الاعتبار ، لا

١٥ - يمكن اعتبار الحالة التي تمر بها كل من الهند وبنغلاديش ومصر إلى حد ما امثلة على البؤس المستوطن .

كعنصر من عناصر مشاكلها فحسب، بل لأنها قد تؤدي إلى تغيير هذه السياسة نفسها أيضاً.

وان تنوع السكان يعود أيضاً إلى تنوع طباعهم وهذه بدورها تتكون خلال عصور طويلة وتبعاً لأسباب متعددة منها: الحياة في مجتمع ما، والتجمع العرقي، والمدن، والتقاليد، واللغة، والأيديولوجية، وكلها عوامل تلعب ادوارها في تكون الجماعات والأمم، وقد يطول أثرها أو يقصر تبعاً للظروف: والاسلام والمجموعة الانكلوساكسونية أمثلة واضحة على ذلك.

٢ - الموارد الطبيعية وغيرها: تتوقف القيمة الأساسية لبلد ما على غزارة ونوعية ثرواتها. والثروة ترتبط بانتاجيتها والقيمة التجارية لهذا الانتاج. والنفوذ السياسي والقوة تعتمدان على معرفة وحسن استخدام الثروات والسلع تنتج منها.

ويمكن لبلد ما أن يكون غنياً دون ان يصبح قوياً. فكثير من المناطق الافريقية مثلاً تحتوي على ثروات هائلة غير مستثمرة حتى الآن؛ ولهذه المناطق قيمة أكيدة، ولكن ثرواتها ليست إلا وعداً للمستقبل، وهناك دول تملك ثروات مستقلة من قبل دول أجنبية أخرى، وبذلك يمكنها أن تكون غنية دون أن تبلغ القوة السياسية العالمية التي تتناسب مع ثروتها. والبتروول اكبر مثال على ذلك^(١٦). وعلى عكس ذلك تماماً فإننا نجد ان بلداً كتركيا، تفتقر للموارد الطبيعية ومع ذلك استطاعت ان تصبح دولة قوية بفضل موقعها الذي استثمرته بمهارة.

١٦ - لا اعتقد ان هذه القاعدة قطعية أو بمعنى آخر أبدية. ففي الوقت الذي تعي فيه الدولة البترولية قوة ثروتها وتباشر استغلالها لتطوير بلدها وتصنيعه ورفع المستوى الثقافي والعلمي والمادي لشعبها، فإنها تضع نفسها على طريق القوة وبالتالي يمكن أن تبدأ بممارسة نفوذ دولي يتناسب مع ثروتها دون أن يكون ذلك وسيلة للابتزاز أو العدوان. (المغرب).

والقوة نفسها يمكن أن تكون وهمية ومشكوك فيها إذا كانت الثروة متوقفة إلى حد كبير على المساعدات الخارجية لاستثمار الموارد^(١٧).

والواقع، أنه في الاقتصاد الحديث ما من بلد يملك جميع المواد التي تحتاج إليها صناعته، وإذا لم تقن الدولة حاجاتها واستهلاكها، فستكون مضطرة لاستيراد بعض المواد أو المتوجات المصنوعة لتغطية هذه الحاجات. ومن هنا يبرز عاملان أساسيان:

- ضرورة الانتاج من أجل البيع أو التبادل.

- ثم الأهمية الحيوية لوسائل النقل، والتي تتضاعف الحاجة إليها لأن الاقتصاد الداخلي يتوقف عليها.

وتتميز البلدان عن بعضها البعض بالنسبة لتنوع الموارد التي تملكها كل منها. ففرنسا مثلاً حبتها الطبيعة بموارد متنوعة تؤمن اكتفاءها الذاتي تقريباً^(١٨). أما فنزويلا المتخصصة بانتاج البترول فلا تستطيع الاعتماد على نفسها لأنها تحتاج إلى استيراد معظم ما تستهلكه من الخارج. وإذا كان التنوع يعطي للبلد ميزات كبرى في أيام الأزمات لأنه يمكنها من الاكتفاء ذاتياً مع شيء من التقنين، إلا أنه لا يخلو من المساوئ السياسية لأنه يعود الشعب على سهولة العيش ويتضمن قدراً من «الأمن الوهمي» لا يتلاءم مع روح النضال الضرورية للمنافسة على المستوى العالمي. وإلى هذا السبب يرجع تدني مستوى الانتاجية، والاعباء الضريبية المتزايدة وارتفاع تكاليف الانتاج وبالتالي صعوبة التصدير مما يترتب عليه

١٧ - وإذا كانت القوة تعتمد أساساً على التمويل باعتاد والأسلحة على الدول الأجنبية، فإنها تفقد مقوماتها عندما تتوقف هذه المساعدات والأمثلة كثيرة في هذا الميدان خاصة بعد أن أصبحت بعض الأسلحة المتطورة جداً محتكرة من دول كبرى معينة. (المغرب).

١٨ - لم يعد ذلك صحيحاً بعد تصاعد أزمة الطاقة وارتفاع أسعار البترول، لأنها تستورد حوالي ٥٠٪ من حاجتها الاستهلاكية للطاقة.

العجز في الميزان التجاري والتضخم النقدي والتدهور في الاقتصاد^(١٩).

ويجري تصنيف الموارد الطبيعية عادة في فصيلتين كبيرتين: الأولى وتشمل الزراعة والصيد بكل أشكالهما، والثانية وتشمل المصادر المعدنية كالفحم والبتروول والمعادن الأخرى المتنوعة، والصناعات المختلفة والتقنية الضرورية للانتقال من مرحلة الاستخراج مروراً بمرحلة التصنيع وحتى مرحلة الاستخدام. ويجب أن يفهم من هذه الأخيرة استعمال الوسائل التي تملكها البلد نفسها، والتي تعتبر مصدر ثروة وقوة، وفي الصف الأول من وسائل النقل.

وقد اعتاد الفرنسيون على ألا يعتبروا النقل من بين الموارد الوطنية، لأنه في نظرهم ليس سوى «خدمات» ولكنه في الحقيقة مصدر ثروة وقوة، والدليل على ذلك الاساطيل التجارية في بريطانيا والنرويج، ووسائل النقل تؤمن دخلاً كبيراً من الأرباح الصافية التي تجنيها من العالم الخارجي كما أنها مصدر قوة لأن التوازن الاقتصادي العالمي يتوقف على مدى فعاليتها.

وعلى عكس ذلك فإن الاضطراب لاستخدام وسائل النقل الأجنبية تمثل عبئاً ثقیلاً وقد يؤدي أحياناً إلى التبعية.

وأخيراً فإن استثمار بعض الموارد الطبيعية يتوقف أساساً على وسائل النقل: وهكذا نجد اليوم أن اعظم الموارد الطبيعية اهمة وهو البتروول يشكل ٥٠٪ من

١٩ - هناك اسباب اخرى لارتفاع تكاليف الانتاج، وصعوبة التصدير ومن بينها ارتفاع الاجور في البلدان المتطورة والمبالغة في تقدير الارباح على الأجهزة والآلات المصنوعة خاصة إذا قورنت باسعار المواد الأولية التي تنتجها البلدان النامية، وان مقارنة بسيطة بين اسعار هذه المواد بها فيها البتروول - وبين اسعار الآلات تظهر الغبن الذي يلحق بإنسان العالم الثالث، من أجل تأمين مستوى حياة افضل للإنسان في البلدان الصناعية المتطورة. ولعل هذه النقطة من بين ابرز النقاط التي يجري الحوار عليها بين ما يسمى بالشمال والجنوب (او البلدان المتطورة والبلدان النامية) وما لم يرفع هذا الغبن فسيفى السلام الدولي عرضة للخطر وعدم الاستقرار.

(المغرب)

وزن المواد المنقول في العالم، وذلك لأن حقول انتاجه تقع غالباً في أماكن بعيدة عن أماكن استهلاكه.

ولا حاجة للإلحاح على المشاكل السياسية التي تطرحها الموارد الطبيعية^(٢٠)، إلا أنه من المفيد التذكير بأهمية المحافظة على هذه الموارد، مما يستلزم سياسة خاصة. ومتبادية زمنياً. ففي المجال الزراعي لا بد من وضع سياسة لحماية التربة من الانجراف والتآكل أو زيادة نسبة الملوحة مثلاً. ولا بد من وجود سياسة طويلة المدى لصيانة حقول البترول أو مناجم المعادن الثمينة. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المشاكل ذات صفة دائمة في زمن الحرب وفي زمن السلم وهي بالغة الأهمية بالنسبة لرجل الاقتصاد وللقائد العسكري. ومن هنا تظهر الصلة المباشرة بين الجغرافيا - السياسية والجغرافيا - الاستراتيجية.

وأخيراً لا بد من الإشارة للعلاقات بين المسائل التي تطرحها الموارد والمسائل التي يطرحها السكان.

فالموارد هي في الحقيقة من صنع الإنسان، والطبيعة لا تقدم سوى الامكانيات، ولهذا فإن قيمة الموارد الطبيعية تتوقف على نوعية الشعب وحكومته.

ومن جهة أخرى ليس هناك مورد أو مادة إلا من أجل سد حاجة معينة، والسياسة يمكن أن تتجه إلى زيادة أو تقليص هذه الحاجة. وزيادة الحاجات من أجل زيادة الموارد هو مبدؤ دائم في سياسة الدول الغربية، بل هو نوع من اليقين في الولايات المتحدة الأميركية. وعلى عكس ذلك فإن تقليص الحاجات إلى مستوى حدود امكانيات الموارد الوطنية هي المبدأ الذي تسير عليه السياسة الوسفياتية، وتركز الجهد مباشرة على نمو الموارد ويجدد استخدامها من قبل الدولة.

٢٠ - لعل ابرز مثال على هذه المشاكل تلك الأزمة العالمية الحادة التي نشأت اثر دخول مفرزة من قوات الدول الكاتنجي إلى مدينة كولوزي الامر الذي ادى إلى تدخل المظليين الفرنسيين والبلجيكيين، تعززها وسائل النقل الاميركية، ذلك لأن هذه الغارة تهدد المناجم الغنية بالمعادن الثمينة، التي تفحص بها (كاتنجا).

٣ - الطاقة واشكالها الجديدة: يزداد الحديث عن الطاقة يوماً بعد يوم، منذ استخدام البخار الكهربائي. وتنتج الطاقة من بعض المواد الخام وخاصة منها الفحم والبتروول ويتطلب ذلك تحويلات متعددة. كما ان استخدام الطاقة يحتاج إلى منشآت ضخمة ووسائل نقل هائلة. وقد امكن تحقيق توازن تدريجي في سير هذه النشاطات ونموها المتصاعد. ومن بين النتائج التي تترتب على قطع هذا التوازن، الأزمات الخطيرة والحروب الدامية؛ ولهذا فإن ظهور الطاقة النووية يمكن أن يكون لها نفس التأثير على الاقتصاد، ولحسن الحظ أن هذا التأثير لا يزال حتى الآن أقل شدة وبالتالي يمكن السيطرة عليه. وسيكون بالامكان تكييف الاقتصاد بالنسبة لهذا العامل الجديد العظيم القوة، خاصة إذا كانت الدول القليلة التي تنتج هذه الطاقة، من الحكمة بحيث لا تستأثر بها لنفسها.

والواقع، إذا كان انتاج الطاقة النووية يتطلب مزيداً من الجهد والمال أكثر مما يتطلبه انتاج الطاقة من البتروول، إلا ان نقلها (أي المادة الخام) والمحافظة عليها أقل صعوبة.

ويصعب الآن التنبؤ بالتغيرات التي ستترتب على استخدام الطاقة النووية من قبل الدول التي كانت في الماضي مفتقرة للطاقة اللازمة، خاصة إذا أصبحت تقنية الانتاج سهلة وفي متناول الجميع^(٣).

وعلى الرغم من أن الوقت لم يحن بعد لنفاذ الاحتياطي من البتروول والفحم، إلا أن زيادة الاستهلاك تستوجب تنفيذ انتاج بعض الحقول لكيلا تستنفذ احتياطها بسرعة، وأصبح من الضروري جداً البحث عن مصادر أخرى للطاقة لأنه لا يجوز الاعتماد كلياً على الطاقة النووية، بل يجب محاولة استنباط الطاقة من الشمس ومياه البحار وكل مصدر يمكن ان توفره الطبيعة.

٢١ - ان كارثة تشيرنوبيل في الاتحاد السوفياتي، والاعطال التي طرأت على بعض المفاعلات النووية في انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا، ولت على صعوبة التحكم المطلق بهذه الطاقة المتوحشة، الامر الذي ادى الى قيام الكثير من المنظمات لمقاومة انتشارها حفاظاً على سلامة البيئة من التلوث. وفي اعتقادنا أن ذلك سيؤثر على اتساع استخدام الطاقة النووية (المعرب).

وأخيراً، فإن الأحداث السياسية، والاكتشافات العلمية والتكنولوجيا، وتطور الشعوب وتمتعها بحقوقها في تقرير مصائرهما، قد يؤدي الى تعديل جذري في شكل العالم، وأن احداً لا يستطيع التنبؤ بالمكان الذي ستحتله افريقيا مثلاً؟
والنتائج السياسية التي ستترتب على ذلك .

٤ - البنيات الاجتماعية : ان عوامل الجغرافيا - السياسية الرئيسية - الثابتة منها والمتغيرة - التي اتينا على ذكرها، تتضمن بنيات اجتماعية، وبنيات سياسية تحدد اطار العمل السياسي الفعلي بشكل ملموس ونافع . وتعمل السياسة دون هوادة على توجيهها، وتعديلها وضمان استقلالها، أو على العكس، ايجاد التحالفات والاتفاقيات التي تسمح بالاشتراك في مجموعات أوسع .

وكل بنية، حتى ولو كانت مستوحاة من بنية اخرى، تحصل وتحفظ بصفات خاصة بها وتضيف عليها شخصيتها المميزة : وكل بنية تقام بالفعل لبلوغ هدف معين وتتكيف بموجبه ؛ والشيوعية نفسها لا تستطيع الافلات من هذا القانون، فبالرغم من اعتقادها أنها أزالته كل أثر للخصائص القومية عند الشعوب التي تدور في فلكها، فإننا نجد ان الشيوعية في يوغوسلافيا والصين سلكتا طرقاً مختلفة عن طريق الشيوعية في الاتحاد السوفياتي واحتفظتا بالطابع القومي .
والبنيات السياسية المتقاربة تحمل في طياتها أسباباً للتفاهم ولإقامة أنواع متعددة من الروابط . ويبدو ذلك على شكل سياسات متشابهة وأنظمة متماثلة .

فالديمقراطيات على اختلاف أنواعها، مثلاً، تشتمل على نقاط مشتركة تتضح تماماً في الأنظمة الملكية الدستورية، والجمهوريات البرلمانية . وهذه البنيات أكثر استقراراً، وأكثر قدرة على التكيف طبقاً للميول والمعتقدات والتطلعات التي يؤمن بها شعب ما . وهي قابلة للزوال السريع إذا كانت مفروضة من الأعلى أو من الخارج، كما أن العلاقات التي أقامتها مثل هذه الأنظمة تبقى معرضة للزوال .
وتقوم البنى الاجتماعية على النظام السياسي والتنظيم الاقتصادي، ولكنها تتأثر بالعادات والتاريخ والمعتقدات لكل شعب . وهي تحدد بشكل خاص أساليب

الحياة، التي قد تختلف نتيجة للتكيف الضروري الذي تقتضيه الشروط الجغرافية الطبيعية منها والبشرية . كما تساعد البنى الاجتماعية على التقارب واقامة التحالفات بين الدول، وتأثيرها في هذه الميادين اقوى من تأثير البنى السياسية كما لاحظنا ذلك عند ذكر المجتمع الانكلو- ساكسوني .

وان مثل هذه التحالفات (او القرابة) يتخلق على المدى البعيد، مثلاً واهدافاً مشتركة، وتسعى لتحقيقها أو الدفاع عنها مجتمعة عند الاقتضاء . وفي عالم اليوم، حيث نلاحظ أن الاطار القومي أصبح أضيق من أن يؤمن السعادة اللازمة للشعوب، فإن الهدف الدائم للسياسة الخارجية لكل دولة، هو تأمين وصيانة العلاقات الضرورية التي تضمن المزيد من السعادة لشعبها .

٣ - السياسة والجغرافيا - السياسية

ان النظرة العاجلة التي القيناها على عوامل الجغرافيا - السياسية، تكفي، رغم سطحيته، للدلالة على كيفية تحديدها للمظهر السياسي للعالم . ولكن الدراسة الجدية والمعمقة لهذه المشاكل تساعد على المعرفة المسبقة لمنحى ونتائج التطورات التي ترسم في الأفق أو التي ستظن في مستقبل قريب . كما تكشف ايضاً عن سلطة الانسان العجيبة على الطبيعة التي يقيم عليها ويستثمرها . وذلك لأن الإنسان استطاع منذ زمن بعيد أن يتكيف مع بيئاته الطبيعية، ومن ثم اخذ يكيفها تدريجياً طبقاً لحاجاته .

غير أن ذلك لايعني أن عوامل الجغرافيا - السياسية وتبدلاتها تسير طبقاً للتوقعات والتنبؤات المعللة جداً : فالاكتشاف المفاجيء لحقل غني بالبترو ل، أو التوسع غير المتوقع لتقنية ما مثلاً، قد يؤدي إلى تغييرات ويخلق مضاعفات في ميادين مختلفة جداً .

ولحسن الحظ أن هذا «العامل المفاجيء» يندر حدوثه، ولذلك يبقى في
مقدور السياسة، الحكمة الواعية، أن تباشر عملها بشكل علمي ومعقول آخذة
بعين الاعتبار ما لا يمكن تفاديه، وما يمكن أن تؤثر عليه وتضعه في خدمة
أهدافها.

الفصل الثالث

الطابع الجغرافي - السياسي للعالم الحالي

والعدالة في القيادة والحذر في التنفيذ .

● سان توما

يشهد العالم اليوم انقلاباً هائلاً يغير وجه العالم بسرعة واتساع وعمق لم يسبق لهما مثيل ، ولم تعرفه اعظم احداث التاريخ البشري اطلاقاً . ولا يتعلق الأمر بالتحول البطيء احدى القارات اثر غزواو احتلال أو اكتشاف ! ولكنه تبدل شامل لا يفضل أية نقطة من الكرة الأرضية ، وهو تطور سريع لا تكاد تدركه الابصار احياناً ، ولهذا لا بد لنا من الاشارة إلى ملامحه الأساسية لكي نوضح «الطابع الجغرافي السياسي» للعالم الحالي .

لقد كان التقدم ، العلمي والتقني ، الخاطف ، السبب الأساسي لهذا التحول لأنه اوجد المعطيات الأولية والمميزات الرئيسية للعالم الحديث . فالتطور العظيم للصناعة ، وسيطرة الانسان على الطبيعة والنفوذ المتزايد للايديولوجيات الجماعية ، وخاصة منها الماركسية التي تقترح الحلول البديلة للمجتمع الاستهلاكي ، والتفجر السكاني في بعض البلدان ، واتساع الهوة بين البلدان المتطورة والبلدان النامية ، واخيراً لا آخراً الاتصالات الآنية السهلة بين

جميع نقاط المعمورة ، وما يترتب عليها من روابط مادية ومعنوية ، كل ذلك يضفي على هذه الخصائص صفة الثورة العميقة التي تزيد في آثارها . وبالتالي فإنها تعطي الجغرافيا - السياسية للعالم الحالي صورتها الحقيقية وملاعها الأكثر بروزاً . ونذكر فيما يلي اهم هذه الملامح :

- تفوق «القوى الكبرى» ورغبتها بالهيمنة ، الاقتصادية على الأقل ، هذه الرغبة التي تكاد تتحول إلى حاجة عادية بالنسبة اليها .
- تطور شعوب البلدان المستقلة حديثاً ، بعد ان كانت مستعمرة ومتخلفة لزمن طويل ويتم هذا التطور بسرعة في الميدان السياسي والعقائدي ، ولكنه يسير ببطء في الميادين الاقتصادية والاجتماعية بسبب الحاجة للمساعدات الخارجية . ولهذا فإن هذه الدول الحديثة تبقى عرضة للإضطرابات وعدم الاستقرار .
- عدم ثبات الظروف العامة ، وبالتالي عدم استقرار التوازن السياسي والاقتصادي على الصعيدين الاقليمي العالمي .
- الصعوبة في حصر المشاكل داخل اطارها الاقليمي أو حصر النزاعات المختلفة ضمن حدود الخصومات الأولية .
- ولهذه الأسباب يمكن ان نتساءل عما إذا كانت العوامل الأساسية للجغرافيا - السياسية ، التي اتينا على ذكرها ، تحتفظ ببعض الأهمية في هذه الشروط ؟
- والصورة التي سنحاول رسمها بخطوطها العريضة ستساعدنا بالإجابة على هذا السؤال .

١ - توزيع الدول في العالم

بلغ عدد الدول المستقلة حتى عام ١٩٦٨ حوالي ١٣٠ دولة (منها ١٢٣ دولة عضوة في هيئة الأمم المتحدة) . (وهي اليوم حوالي ١٦٩ دولة منها ١٥٧ دولة مستقلة) .

ويمكن تصنيف هذه الدول بأشكال مختلفة طبقاً للمعايير المستخدمة . وقد جرت العادة في الماضي على اعتبار المساحة وعدد السكان قاعدة لهذا التصنيف ، إلا أن ذلك لم يعد العنصر الحاسم في تصنيف الدول : فويسرا البلد الصغير مثلاً يلعب دوراً عالمياً فعالاً لا يتناسب مع مساحة وعدد سكانه . ويبدو أنه من الأسلم ، في هذه الأيام ، تصنيف الدول حسب «وزنها» الفعلي في المجموعة الدولية ، أي حسب قوتها العسكرية والاقتصادية التي تحدد قوتها السياسية .

وتقسيم الدول إلى مجموعات ، يتم على أساس الايديولوجيات والمصالح المشتركة والمواقف التي تتخذها من قضايا السلام وتوازن القوى في العالم . وقد اختلف هذا التصنيف اختلافاً عظيماً الدلالة منذ حوالي نصف قرن . وندرج فيما يلي نموذجاً لهذا التصنيف موضوعاً على أساس أهمية الدول وقوتها منذ بداية الحرب العالمية الأولى وحتى نهاية الستينات من هذا القرن :

١٩١٤ : فرنسا ، انكلترا ، المانيا ، روسيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، اليابان .

١٩٢٠ : انكلترا ، فرنسا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، اليابان ، إيطاليا .

١٩٣٩ : المانيا ، انكلترا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، فرنسا ، اليابان ، الاتحاد السوفياتي ، إيطاليا .

١٩٥٠ : الولايات المتحدة الأمريكية ، الاتحاد السوفياتي ، انكلترا ، فرنسا ، إيطاليا ، المانيا الاتحادية ، الصين .

١٩٦٨ : الولايات المتحدة الأمريكية ، الاتحاد السوفياتي ، المانيا الاتحادية ، اليابان ، الصين الشعبية ، انكلترا ، فرنسا ، إيطاليا .

ومن الجدير بالذكر أن تصنيف الصين لا يخلو من الصعوبة - لأنها في طريقها لتصبح «العلاق الثالث» بعد الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي فإن «وزنها» الحالي من حجمها (الطبيعي والبشري) ومن قوتها العسكرية ، أكثر ما يتكون من تطورها الاقتصادي الذي لا يزال بطيئاً .

ويعتمد التبدل في هذا التصنيف، على عنصر جديد فالحرب العالمية الثانية، قلبت موازين القوى في العالم، كما أن القفزات الهائلة التي حققتها الصناعة والتكنولوجيا، جعلت «الدولتان العملاقان» تتبوأن مكانة الصدارة منذ نهاية الحرب حتى الآن، بسبب ضخامة مواردهما وتعدد وسائلهما الامر الذي اصبح ضرورياً للوصول إلى «القوة الحقيقية».

وكان من نتيجة هذه الحرب أيضاً انهيار المانيا واليابان ولكنها سرعان ما استعادت قوتها الاقتصادية والتكنولوجية، واخذتا تتطوران بخطا جبارة ساعدتها على اللحاق، بل وتجاوز الدول المتصصرة، باستثناء القوتين العظميين (امريكا والاتحاد السوفياتي)، ولكن هاتين الدولتين لم تعوضا قوتها العسكرية بسبب معاهدات الصلح التي فرضت عليها بعد الحرب^(١).

وادی انحسار الاستثمار القديم إلى تصفية الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية، وتحول هاتين الدولتين إلى «دول متوسطة». وفتح المجال لظهور مجموعة البلدان المستقلة حديثاً (او ما يطلق عليه اسم العالم الثالث). ولا ريب أن هذه التغييرات كان لا بد لها وان تحدث تدريجياً، غير ان الحرب العالمية الثانية ومضاعفاتها أعطت لهذا التحول طابعاً ثورياً.

ومع ذلك يمكن القول ان تراجع اوربا الغربية لصالح العملاقين، ونخلي دول هذه المنطقة عن الزعامة، بعد أن كانت لعدة قرون خلت مركزاً للإشعاع

١ - في الميدان العسكري اصبحت المانيا الاتحادية عضواً كاملاً في حلف الأطلسي منذ عام ١٩٥٣، وسمح لها بإعادة تنظيم وتسليح جيشها واصبحت الآن في مقدمة بلدان اوربا الغربية بالأسلحة الكلاسيكية.

أما اليابان فقد هيات لها الحرب الكورية أولاً، ثم انسحاب الولايات المتحدة الامريكية من فيتنام الجنوبية، وكمبوديا عام ١٩٧٥، الظروف الملائمة لإعادة تنظيم وتسليح قواتها المسلحة. وهي تستعد الآن لاملأ الفراغ في منطقة جنوب شرقي آسيا بالتعاون الوثيق مع القوات الامريكية الجوية والبحرية.

والقوة في العالم - سيمقى نسبياً إذا اخذنا بعين الاعتبار الوسائل والتكنولوجيا الحديثة، علماً بأن هذه الوسائل أيضاً يجب ان تتناسب طردياً مع الأبعاد الجديدة للمشاكل العالمية المتنوعة، والمستلزمات البحرية والجوية المتزايدة.

ولهذه الأسباب كلها فإن توزيع الدول على القارات يُعتبر ذا فائدة كبيرة في هذه الدراسة.

واللائحة التالية تعتمد على الأرقام والاحصائيات المنشورة عام ١٩٦٧ :

القارات	المساحة بألف كم ^٢	السكان بالملايين	عدد الدول
أوروبا والاتحاد السوفياتي	١٠	٦٢٠	٢٦
أمريكا الشمالية	٢١	٢٦٥	٣
أمريكا الوسطى	٢,٧	٥٦	١٢
أمريكا الجنوبية	١٨	١٢٢	١١
آسيا	٤٥	١٨٠٠	٢٩
أفريقيا	٣٠	٣١٠	٤٢
أستراليا	١٠	١٥	٢

وهكذا تلاحظ أن أوروبا الغربية قليلة المساحة وكثيفة السكان نسبياً، ويمكن اعتبارها «شبه جزيرة» بالنسبة لـ «أوراسيا»، كما تشكل عقدة طرق هامة. وقد بقيت هذه القارة مقسمة بالاستناد إلى نظام سياسي قديم وقوي، أفرز القوميات المعروفة الآن، واستطاعت هذه القارة خلال عدة قرون أن تنشر الروح القومية، وتنظيم العبقرية العلمية والمنجزات التقنية، في كل مكان من الكرة

الأرضية، وبذلك اغنت العالم الحديث بحضارتها. وان نظرة فاحصة للكرة الأرضية تظهر لنا حقيقتين اساسيتين:

- الحقيقة الأولى: تتعلق بالمناطق القارية الشاسعة التي تحتلها بعض البلدان مثل: الاتحاد السوفياتي - والصين، والهند، والولايات المتحدة الأمريكية وكندا، والبرازيل والأرجنتين.

- والحقيقة الثانية: تتعلق بعقد المواصلات للطرق البرية والبحرية الكبرى والمناطق الساحلية التي تشغلها مجموعة من الدول المتوسطة والصغيرة، وهي على العموم كثيفة السكان، وغالباً ما تكون نشيطة او مضطربة كما هي الحال في اوربا الغربية، والشرق الأوسط وامريكا الوسطى وجزر الأنтил، وهي كذلك بالنسبة لسلسلة الجزر الممتدة على طول الساحل الجنوبي للقارة الآسيوية من البحر الأحمر حتى اليابان.

ولهذه الأسباب ذاتها لم تكن الكتلة الافريقية تحتوي، حتى عهد قريب، إلا العدد القليل من الدول المستقلة الواقعة على محيطها وذلك لأن العلاقات مع القارات الأخرى كانت ممكنة منذ القدم.

وكان من نتيجة التحرر من الاستعمار قيام عدد كبير من الدول المستقلة الضعيفة في القارة الأفريقية: واصبحت هذه القارة ممثلة بما يزيد عن ٤٢ دولة في هيئة الأمم المتحدة، أي ما يعادل ثلث مجموع أعضاء هذه المنظمة تقريباً، مع العلم بأن عدد سكانها لا يتجاوز نسبة ١٠٪ من سكان العالم.

وان مستقبل هذه الدول ستحدده، ولا ريب جزئياً على الأقل، العلاقات المباشرة وغير المباشرة بقارات آسيا واوربا وامريكا عبر المحيطين الهندي والأطلسي.

أما القسم الشمالي الشرقي من القارة الأفريقية فهو اقرب إلى الشرق الأوسط منه إلى افريقيا، لأن الموقع الجغرافي كان ولا يزال عاملاً حاسماً في مصير بلدان هذه المنطقة التي تشكل نقطة اتصال ذات أهمية عالمية.

وأخيراً فإن الصحراء الكبرى تجعل من بلدان شمال غرب افريقيا (او ما

يسمى بالمغرب العربي) «جزيرة مغربية» يتطلع سكانها دائماً إلى المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، ومن هذه الناحية تشبه إلى حد كبير اسبانيا.

٢ - من الامبراطوريات الاستعمارية إلى العالم الثالث

سوف لن يشمل هذا العنوان سوى البلدان الواقعة ضمن اطار ما يسمى «بالعالم الحر» لأنه لم يلاحظ حتى الآن أي نوع من التطور المائل يرتسم داخل الكتلة الشيوعية، رغم ان الاتحاد السوفياتي والصين شكلتا من الدول التابعة لكل منها «امبراطوريات استعمارية حقيقية»^(١) تسير بارادة سياسية موحدة ويحدد لكل دولة فيها الدور والمكان الذي يجب أن تشغله.

وإذا كان من الثابت فعلاً ان قوانين الجغرافيا - السياسية تحكمتم بمصير العالم اجمع فحدثت فيه كل التيارات التي ادت للتفجر والتجزئة او التجمع، فإن التاريخ الحديث أثبت حتى الآن الاتحاد السوفياتي والصين (كل في منطقة نفوذه) يدمران كل محاولة بهذا الاتجاه وبالقوة عند اللزوم.

كانت المستعمرات ترتبط فيما بينها ضمن إطار الامبراطوريات الاستعمارية، على شكل مجموعات غير واضحة الحدود، وأحياناً ترتسم حدود بعضها بشكل مصطنع، بموجب اتفاقيات^(٢) مع القوى الاستعمارية. وغالباً ما كان هذا الوضع في صالح الشعوب المستعمرة بسبب المستوى البدائي الذي كانت

٢ - هذه الآراء هي للمؤلف وهي تبرز النظرة التي ينظر بها المسؤولون في الغرب لدول الديمقراطية الشعبية، أو الدول التي اختارت الأنظمة الشيوعية وارتبطت مع الاتحاد السوفياتي أو الصين بمعاداة عسكرية واقتصادية، والا يفهم من تعريب الكتاب اننا نشاطر المؤلف هذه الآراء، وان الأمانة تقتضي منا تعريبها حرفياً.

(المغرب)

٣ - يسمى هذا النوع من الاتفاقيات، بالاتفاقيات غير المتكافئة أو غير التزمية. وأبرز الأمثلة عليها تلك الحدود الوهمية التي رسمها الاستعمار البريطاني بين امارات وعمميات (الخليج العربي).

عليه . اما مساوىء هذا التنظيم فتنج عن الرغبة احيانا بتجميع خليط من شعوب مختلفة ، بل وبتعادية ، بهدف تحقيق نوع من التكامل الطبيعي أو الاقتصادي أو بسبب الظروف الجغرافية - السياسية لتدعيم الامكانيات التجارية ورفع مستوى الانتاج وتنظيم الدفاع المشترك . ويمكن أن نلاحظ فيما بعد ، كيف حدثت الانتفاضات مباشرة بعد التحرر من الاستعمار .

وقد شجع الصراع بين الكتل العسكرية والاقتصادية هذه الانتفاضات ، خاصة وإن مشاعر الاستقلال لم تصل بعد إلى المستوى الذي يطغى الخصومات بين القوميات ، والاحقاد العرقية الطائفية والقبلية القديمة .

ان تنظيم الحياة الحديثة الشديدة التعقيد والتفوق المطلق للقوى الصناعية المتطورة ، أدبا إلى خلق نوع من الامبراطوريات الاقتصادية المسترة حلت محل التقسيمات القديمة للعالم . وهي لا تشبه «الممتلكات» التي كانت معروفة في الماضي ، ولكنها تقوم على الهيمنة المالية والتجارية ، وحيانا السياسية والعسكرية وهذه الامبراطوريات لا تمثل بألوان مختلفة على الخرائط الدولية ولكنها تقرؤ من خلال الاحصائيات . المتنوعة .

وان الصراع بأشكاله المختلفة للحصول على مثل هذه الهيمنة ، لا يقل شأنأ وحده عن المجاهبات الاستعمارية التي عرفت عبر التاريخ وان كان يختلف عنها بوسائله ؛ والتشابه بين هذا الاستعمار الحديث وبين الاستعمار القديم يمتد إلى ميادين اخرى ؛ فالدول المسيطرة تتحمل اعباء ومسئوليات في مستوى امبراطورياتها كما كان الأمر في الماضي .

والواقع انه في كلتا الحالتين تحتاج البلدان «الخاضعة للنفوذ» إلى مساعدة البلدان «المسيطرة» لكي تحيا وتتطور لأنها لا تستطيع تحقيق ذلك بوسائلها الذاتية ، وهذه المساعدات قد تكون «نزهة» ولكنها في أغلب الأحيان «مغرضة» .

وهكذا نرى ان نضال الدول الحديثة في سبيل العيش الكريم محوطاً بالمصاعب في عالم لا يعرف الرحمة . يضاف إلى ذلك تلك الشروط والالتزامات التي تترتب عليها مقابل المساعدات الخارجية (يصرف النظر عن النظام السياسي

والايدولوجي الذي اختارته لنفسها) ؛ ولهذا فإن هذه الدول تخضع لتأثير الشروط الجغرافية - السياسية والجغرافية - الاستراتيجية أكثر مما تخضع لها الدول القوية .

ومن هنا تأتي المجموعات التي تحدثنا عنها سابقاً والتي عملها عوامل ثلاثة حاسمة هي :

أولاً : الشروط الطبيعية ، ثانياً : الاختيار السياسي الذي يتأثر بالصدقة والمصير المشترك ، أو التبشير العقائدي . ثالثاً وأخيراً : شبكة المصالح والروابط اللغوية والثقافية التي قد تكون أحياناً الارث النبيل لامبراطورية ما وتخلق نوعاً من العمومة بين الشعوب .

وهكذا نجد ان في القارة الافريقية وحدها حوالي اثنا عشر منظمة ، تشكل فيما بينها مجموعات ذات صلة بالغرب أو الشرق ، لأنها لن تستطيع قبل زمن طويل تكوين عنصر متجانس قادر على فرض نفوذه على التوازن الدولي بالاعتماد على قوته الذاتية .

وهذا لا يعني ان الاتحاد بين الدول أمر غير مرغوب فيه أو أنه عديم الفائدة .

وطبيعي أن يقودنا هذا البحث إلى التساؤل عما يمثلته «العالم الثالث» في المجتمع الدولي ، وأية قيمة لوحده ضمن هذه الشروط ؟

من المعروف ان اصطلاح «العالم الثالث» اعطي للتعبير عن الدول النامية في المؤتمر الافريقي - الاسيوي الذي عقد في باندونغ عام ١٩٥٥ . وكان ذلك كنتيجة للوعي المشترك للدول التي ساهمت في هذا المؤتمر .

ومن المعروف أيضاً أن مؤتمر ثانياً لهذه الدول كان من المفروض ان يعقد في الجزائر بنفس ذلك العام ليحدد مؤتمر باندونغ ويوسع أهدافه . ولكن هذا المؤتمر انفك حتى قبل انعقاده ، لكثرة الخلافات بين المؤتمرين^(١) .

٤ - وقد صادف موعد انعقاد المؤتمر في العاصمة الجزائرية قيام الحركة التي تزعمها الرئيس هواري بومدين ضد السيد احمد بن بلللا .

ونحن لا ندعي هنا حصر مبررات الاحداث التي وقعت في الفترة الواقعة بين موعدي هذين المؤتمرين، ولكنه ثبت أن من بينها أسباب جغرافية - سياسية، لذا فسنحاول ان نفرد لها مكاناً في هذه الدراسة.

ان المواقع التي تحتلها بلدان العالم الثالث، فوق سطح الكرة الأرضية تستحق كل الاهتمام، لأنها توضح بشكل جيد، الخصائص المشتركة، والتناقضات، بين الدول التي يتكون منها هذا العالم.

لقد سبق وأشرنا إلى التنوع الداخلي في القارة الافريقية رغم كتلتها الطبيعية المتماثلة، ونشير هنا إلى الطرف الجنوبي لـ «اوراسيا» بأشبه جزره وحزام الجزر الذي يحيط به، كما نشير إلى البلدان الاستوائية في أمريكا الوسطى وجزر الأنثيل، ونلاحظ ان لهذه المناطق جميعها صفات مشتركة: كالمناخ الحار - الذي غالباً ما يكون مدارياً أو استوائياً، والمنتجات المتشابهة، القليلة التنوع في كل بلد على حدة، والتي قد تكون أحياناً ذات مردود ضعيف، وإحياناً أخرى شديدة الغزارة، وهذا يعني انها غير متوازنة بالنسبة للاقتصاد - الحديث. وهناك بعض البلدان التي تحتوي على ثروات معدنية وبتروولية هائلة يصعب استثمارها محلياً بسبب فقدان التكامل الاقليمي (وهذا يعني ان النشاط الصناعي ضعيف في جميع هذه البلدان وقد يصبح ممكناً بسبب التطور)؛ وفي هذه البلدان اعراق وحضارات مختلفة تماماً، وغالباً ما يكون سكانها متخلفين من النواحي العلمية والتقنية والثقافية.

إن هذه الصفات المشتركة لا تقلل إطلاقاً من الاختلافات الكبيرة والتفاوت بالامكانيات والصفات الجوهرية لكل بلد منها، والمواقف الخاصة والادوار المتنوعة التي تتخذها في الميدان العالمي.

ومع ذلك فإن جميع بلدان العالم الثالث تشترك في صفة أساسية ألا وهي: «التخلف الاقتصادي والاجتماعي».

ومن الجدير بالذكر أن هذا التخلف لم يتوقف عند حد بسبب التقدم بل على العكس تماماً لأن الهوة تزداد يوماً بعد يوم بين البلدان النامية والبلدان

المتطورة، ويزيد في خطورته ان سكان هذه البلدان اخذوا يعونه ويقدرونه حق قدره بعد حصولهم على الاستقلال السياسي !
والتخلف هو المعوق الخطير في عالم اليوم والغد .

لقد استغلت الايديولوجيات وعي الشعوب في البلدان النامية، فاثارت عواطفهم إلى درجة الهيجان والثورة على الاستعمار. وذلك باقناع هذه الشعوب أن تخلفهم والبؤس الذي يعانونه انها كان بسبب استغلال القوى الاستعمارية التي فرضته عن سابق اصرار وتصميم .

وإذا لم يكن من حقنا هنا ادانة هذه العواطف إلا أن الموضوعية تقتضي منا التنويه بان «الكراهية للاستعمار» كانت القاسم المشترك والمناخ الذي قامت عليه الوحدة الأولية للعالم الثالث، لذلك كانت الوحدة «ضد حالة تعود للماضي» وليست إلا في حدود ضئيلة جداً، في سبيل شيء جديد ملموس ومحدد بالنسبة للمستقبل، اللهم إلا ما يتعلق بالاختيار السياسي والايديولوجي» .

وهذا يعني أن «الوحدة المعنوية للعالم الثالث، كان ينقصها منذ نشأتها ارادة حقيقية من الأفكار البناءة التي تشكل الملائم الوحيد لوحدة متينة تصمد على المدى الطويل . وإذا علمنا أن الكثير من العوامل التاريخية والاقتصادية بالاضافة إلى عدد آخر من شروط الجغرافيا - السياسية قد اهملت، يمكن أن نفهم جيداً النزاعات الداخلية التي ظهرت فعلاً، او التي في طريقها للظهور في قلب العالم الثالث والمجموعات الاقليمية الجديدة المنتمية له .

ولهذه الأسباب نجد ان معظم المنظمات والمجموعات الاقليمية في العالم الثالث تعاني من أزمت حادة داخلية، وعليها أن تثبت جدارتها وقدرتها على تخطي هذه العقبات على الرغم من أن الشروط والعوامل المختلفة التي اشركنا اليها لا تعزز هذه التجمعات ولا تقيم وزناً كبيراً للاختيارات السياسية والايديولوجية . ويمكن القول أن طبيعة الأشياء ستفرض نفوذها تدريجياً فتعدل وتضعف - على الأقل - هذه الاختيارات المذهبية . وسنأتي فيما بعد على ذكر بعض الحالات التي وقعت فعلاً أو الحالات الممكنة والمواقف المتبدلة التي لوحظت حتى الآن .

فقد لوحظ في السنوات الأخيرة بعض الانعطافات التي كانت تحدث مباشرة أحياناً، وترتدي أحياناً أخرى طابعاً مأساوياً، كما حصل في الهند واندونيسيا وفي عدد من البلدان الأفريقية التي تخلت عن المساعدات الشيوعية. بعد ان تبين لها ان هذه المساعدات تثير الكثير من المشاكل ولا تتلاءم مع حاجاتها الحقيقية. لذلك فضلت العدول عنها والعودة إلى العلاقات الطبيعية (كذا) المجربة^(٥).

وإذا كانت «كوبا» قد استطاعت الصمود والاستمرار بالعيش حتى الآن معتمدة على الاتحاد السوفياتي، ومنفصلة تماماً عن العالم الأميركي الذي هو عالمها وكل شيء يربطها بها، فإن هذه الإرادة السياسية مناقضة تماماً للجغرافيا - السياسية، على الأصعدة الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ولا يمكن أن تستمر لزمان طويل، وهذا هو شأن الزواج غير الشرعي بين «البانيا» والصين...^(٦).
وأخيراً، فإن أحداً لا يستطيع التنبؤ اليهم، بالأسس التي سيقوم عليها

٥ - مما لا شك فيه أن هناك الكثير من الأمثلة التي يمكن الاستشهاد بها في هذا المجال، غير أن ذلك في اعتقادنا لا يشكل يرهاناً كافياً على عدم جدوى التعاون بين البلدان النامية والبلدان الاشتراكية. والعكس صحيح، وما لم يحدث تبدل جوهري في العلاقات بين بلدان العالم الثالث من جهة وبين البلدان الغربية الصناعية المتطورة - بحيث تقوم على مبادئ العدالة والتكافؤ والمساواة الفعلية، ومراعاة المصالح الخاصة بكل الأطراف، فإن العلاقات القديمة لا زالت حتى الآن في غير صالح البلدان النامية لأنها تقوم على القوة والاستغلال، وأن العلاقات مع البلدان الاشتراكية تعطي على الأقل للبلدان النامية الامكانية للاختبار والمساومة والصمود في وجه الضغوط المتنوعة التي كثيراً ما تلجأ إليها الدول الاستعمارية.

(المغرب)

٦ - الواقع ان هذا الزواج بدأ بالتفكك، بل هناك أكثر من مؤشر في الأيام الأخيرة، يدل على انه يتجه بسرعة نحو الطلاق، خاصة وقد اشارت الأخبار إلى وقوف البانيا إلى جانب فيتنام في صراعها مع كمبوديا التي تدعمها الصين.

(المغرب)

«التوازن الثابت» في هذه المجموعة الدولة المتنوعة، والتي نطلق عليها اسم «العالم الثالث» فبالرغم من أن هذا التوازن مطلوب ولكنه يحتاج إلى التبدل والتطور الضروريين في البلدان النامية؛ وإلى أن يحدث ذلك فإن الوضع العالمي سيقى معرضاً إلى خطر مزدوج، لأن العالم الثالث يشكل ميداناً مثالياً للصراع بين كل القوى التي تتطلع للمهيمنة والقوة؛ أما إذا استمرت هذه الحالة الخطرة مدة طويلة فلإنها ستؤدي حتماً إلى ردود فعل عنيفة جداً من الشعوب الفقيرة.

والخلاصة: أننا نعتقد أنه من الضروري أن تقوم الدول الغنية المتطورة بتقديم مساعدات دائمة وإسباسبية للدول النامية، شريطة أن تنظم وتستخدم بشكل «ذكي»!! . إذا ما اردنا ان نجنب العالم خطر هذه الاضطرابات وإذا كنا نرغب استمرار التقدم العالمي في ظلال السلام.

٣ - الكتل والاحلاف الاقليمية

ليس من الضروري التذكير في هذا البحث الموجز، بمنشأ «الكتلتين» الكبيرتين، «الشيوعية» و«الغربية» ولا بنوع الخصومة القائمة بينهما، ولكن لا بد من الإشارة إلى الطبيعة الايديولوجية والعالمية لهذه الخصومة.

والواقع ان «الكتلة الشيوعية» هي في الأساس قارية ومتناسكة وضخمة، ولكنها كثيرة التنوع من الناحيتين الطبيعية والبشرية، وتشكل «موقعاً مركزياً» من قارة اوراسيا، يعزلها الجليد القطبي في الشمال، وتعزلها سلسلة جبال هيمالايا واستطالاتها في الجنوب، بالإضافة إلى أنها مفصولة ارادياً عن بقية العالم بواسطة «الجدار الحديدي»^(٣) في الغرب وجدار البابو^(٤) (قصب الخيزران) في الجنوب

٧ - اصبح الحديث عن «الجدار الحديدي» او «جدار البابو» غير ذي موضوع، لأن ما يسمى بالكتلة الشيوعية لم تمد كتلة واحدة بعد القطيعة بين الصين والاتحاد السوفياتي، من جهة، ولأن جميع البلدان الاشتراكية بها فيها الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية، تقيم علاقات واسعة ومتنوعة مع جميع الدول بصرف النظر عن أنظمتها السياسية والاجتماعية، وتفتح حدودها للزوار ←

الترفي . وإذا استثنينا سواحل سيبيريا القاصية المطلة على المحيط الهادي ومنطقة مورمانسك المتحررة من الجليد طيلة أيام السنة والمطلّة على بحر بارانت في الشمال ؛ فإن الاتحاد السوفياتي ليس له أي منفذ مباشر للبحار المتفوحة ؛ فالبحر البلطقي ، والبحر الأسود هما بحران داخليان تتحكم بهما المضائق التي تسيطر عليها « الكتلة الغربية » أما الصين فهي ، على عكس الاتحاد السوفياتي تماماً ، مفتوحة على المحيط الهادي .

وهذه الصفات الأساسية لها ميزات ايجابية ، ومساوىء جدية منها :
- امكانية العثور في مثل هذه الأراضي الشاسعة والغنية بالثروات البشرية والمادية ، على كل ما هو ضروري للحياة الاقتصادية ؛ كما يمكنها الاكتفاء بطرق المواصلات الداخلية عند الضرورة .

- الحدود الطويلة جداً ، وفي أغلب الأحيان تكون قابلة للنفوذ ومحاطة ببلدان يجب الاشراف عليها أو مراقبتها بل واحتواءها إذا لزم الأمر ؛ ومن هنا تظهر الحاجة للاحتفاظ الدائم بالقوات العسكرية والوسائل الأخرى الضرورية في مناطق الحدود .

- صعوبة الانتشار البعيد حتى في عصر الطيران .
وقد أدى هذا الوضع بالاتحاد السوفياتي إلى استئناف السير على سياسة

والسواح من مختلف بلدان العالم ، بل وتسمح ضمن حدود معينة لمواطنيها بزيارة البلدان الأجنبية ، ولا يكاد يمر يوم إلا وتقيم فيه هذه الدول علاقات من نوع معين مع البلدان الغربية والبلدان النامية .

(المغرب)

٨ - جدار البامبو : اشارة المستنقعات الكثيفة التي كان تفصل فيتنام الشمالية الشيوعية ، عن فيتنام الجنوبية ، ومنطقة الخمير الحمر عن كمبوديا الرجعية - وقد انهار هذا الجدار بعد انسحاب القوات الامريكية عام ١٩٧٥ من هذه المنطقة وامتدت حدود الكتلة الشيوعية إلى شواطئ الهند الصينية الجنوبية في المحيط الهادي (المغرب) .

القياصرة التقليدية وتعزيزها، لأنها تتفق تماماً مع «مذهبه الثوري العالمي» واهدافه التوسعية. وترتب على ذلك ما يلي:

- العزلة الكاملة للبلدان الاشتراكية.

- خلق حزام عازل على طول الحدود في آسيا واوربا، من الدول التي تخضع طوعاً أو كرهاً للاتحاد السوفياتي. ومن هنا يبدو للاتحاد السوفياتي ان جميع الاحلاف التي عقدها الدول المحيطة به، تشكل تهديداً مباشراً له. وهذه الاحلاف هي: الحلف المركزي (ايران تركيا، والباكستان)، وحلف الاطلسي (الذي يضم خمسة عشر دول)^(١). ولهذا السبب اقام الاتحاد السوفياتي حلف وارصو^(٢) ويسعى جهده للحرص عليه.

- التطلع باستمرار للسيطرة على المضائق وخاصة مضيق البوسفور والدردنيل الذي يعتبر المنفذ الوحيد للاتحاد السوفياتي إلى البحر الأبيض المتوسط

٩ - يضم حلف الأطلسي OTAN الدولة الآتية:

الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، المملكة المتحدة، فرنسا، لوكسمبورغ، النرويج، الدانمرك، بلجيكا، هولندا، ألمانيا الاتحادية، إيطاليا، اليونان، البرتغال، أيسلندا، تركيا. وقد انشئ هذا الحلف بموجب اتفاقية واشنطن التي وقعت في ٤/٤/١٩٤٩.

وهدف الحلف:

تدعيم التعاون بين الأعضاء وتأمين الدفاع الجماعي خاصة عن طريق وحدة القيادة، والانتاج الحزبي المنسق والمنشآت الدفاعية المشتركة، وتوزيع المهام، والادوار بين الأعضاء، مما يعزز الحلف المشاورات السياسية للسعي لاقامة الانفراج في اوربا والسلام الدائم في العالم.

١٠ - حلف وارصو: انشئ هذا الحلف بتاريخ ١٤/٥/١٩٥٥، ووقعه كل م: ألمانيا الديمقراطية، وهنغاريا والبايا (التي انسحبت منه نهائياً فيما بعد) وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا، والاتحاد السوفياتي وكانت الصين ممثلة فيه كمضو مراقب إلى ان حصلت القطيعة النهائية بينها وبين الاتحاد السوفياتي.

وهدف الحلف: التعاون العسكري في حالة قيام عدوان مسلح في أوربا.

والإشراف عليه يجعل الاتحاد السوفياتي دولة متوسطة. كما يتطلع السوفييت بنهم لشواطئ بحر البلطيق التابعة لبولونيا وألمانيا وقد سعوا في الماضي للوصول إلى البحر المتوسط عن طريق السيطرة على يوغوسلافيا^(١١)، وباشعال الثورة في اليونان^(١٢) وقد فشلت هاتين المحاولتين.

ويمكن ان نستخلص من هذه الملاحظات بعض الحقائق الجغرافية - السياسية البالغة الأهمية: فقد ادخلت الدانمرك والنرويج لحلف الأطلسي لأنها يحميان مدخل بحر البلطيق، وادخلت تركيا لهذا الحلف لأنها تسيطر على مداخل البحر الأسود.

ومن ناحية أخرى فإن تحول يوغوسلافيا إلى التيتوية وتبنيها لسياسة عدم الانحياز، وانسلاخ البانيا عن حلف وارصو، اصابا الاتحاد السوفياتي بصدمة كبيرة وخيبة أمل، لأنه حرم من الموقع البحري على البحر المتوسط بعد أن كان في متناول يده.

وبالرغم من أننا لا نتكلم هنا عن الصين الشعبية التي ستتكلم عنها في الجزء الثاني من هذا الكتاب، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى ان النزاع الأيديولوجي بينها وبين الاتحاد السوفياتي لا يعني انفصالها نهائياً عن الكتلة الشيوعية، لأن طبيعة نظامها لا يزال شيوعياً، وسوف نرى في مكان آخر كيف ان النزاع الحقيقي بين هاتين الدولتين يرجع لأسباب ملموسة لا صلة لها بالأيديولوجية^(١٣).

١١ - انسحبت يوغوسلافيا من الكوفترن في حزيران ١٩٤٨، وتبنت سياسة عدم الانحياز اعتباراً من عام ١٩٥٣.

١٢ - نظم الشيوعيون في اليونان من الانصار لمقاومة الاحتلال الألماني، وبعد انسحاب هؤلاء عام ١٩٤٤، اثر نزول القوات البريطانية لشبه الجزيرة اليونانية حاول الشيوعيون اسقاط الحكم الملكي في اليونان واستمرت ثورتهم حتى عام ١٩٤٦ عندما عقدت الهدنة بين الأحزاب المتصارعة وهذه الهدنة التي مهدت لعودة الملكية لليونان.

١٣ - لقد اختلف الوضع بين الصين والاتحاد السوفياتي منذ القطيعة وتحول في نهاية السبعينات إلى عداوة صريحة - دفعت الصين إلى مقاومة النفوذ السوفياتي بكل الوسائل وفي كل مكان

أما «العالم الحر» فيشتمل على «الكتلة الغربية» والدول التي تنادي ببعض الحياذ ومن بينها دول تنتمي للعالم الثالث.

ومن المؤكد ان اصطلاح «الكتلة الغربية» لا يكفي اطلاقاً للتعبير عن مجموعة الدول المنفصلة جغرافياً، والتي يحتفظ كل منها لنفسه بحرية الاختيار؛ إلا أن كثرة استعمال هذا الاصطلاح اعطاه المعنى الملائم والمعارض للكتلة الشيوعية. وبلدان «الكتلة الغربية» - على عكس بلدان الكتلة الشيوعية - مبعثرة وموزعة على القارات الخمس، وهي تشكل في أوروبا الغربية فقط مجموعة متماسكة بسبب الحدود المشتركة والتاريخ والمصاهرة المعنوية، والأنظمة الاقتصادية المتشابهة والتهديدات المتنوعة المشتركة التي تتعرض لها.

وعلى الرغم من ان بعض دول الكتلة الغربية لا تزال تصنف بين «الدول الكبرى» على صعيد السياسة الدولية، إلا أن جمع دول هذه الكتلة أصبحت في الواقع «دولاً متوسطة» أو صغيرة باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية التي تشكل وحدها «عملاقاً حقيقياً» وان وحدة هذه الدول تقوم على دعمتين أساسيتين: الأولى باعتبارها مجتمع انساني مثالي متحضر، والثانية: ان جميع أنظمتها ذات طبيعة سياسية واقتصادية وعسكرية متماثلة.

وان الحياة في كل من هذه البلدان تتوقف على البلدان الأخرى وعلى التبادل المتنوع بين الجميع لأن ذلك هو القانون الذي يفرض نفسه في عالم اليوم. وهكذا نجد ان المعطيات التي اوجدتها العوامل الجغرافية - السياسية لا بد لها أن تتفق وان تتكامل. وهذا يعني أن الانسان يعمل خاصة مدفوعاً بارداته السياسية والسيطرة على الطبيعة، التي زوده بها التقدم، سعياً وراء تغيير الوقائع

تستطيع الوصول اليه. واخذت بعد زيارة الرئيس نيكسون لبكين، تطور علاقاتها مع الولايات المتحدة وتسمى بكل الوسائل لثمتين علاقاتها بأوروبا الغربية واليابان لتحكم الحصار على الاتحاد السوفياتي، وهناك بعض الدلائل التي تشير عن احتمال نشوب صراع مسلح بين القبتان الذي يقف من ورائها السوفييت وكمبوديا التي تساندها الصين.

(المغرب)

الجغرافية الطبيعية أو التاريخية التي كانت تشكل عقبات كدادة تمنعه من التطور خلال قرون طويلة، وان يقيم بدلاً عنها روابط وصلات افضل تبدوللأجيال القادمة وكأنها طبيعة .

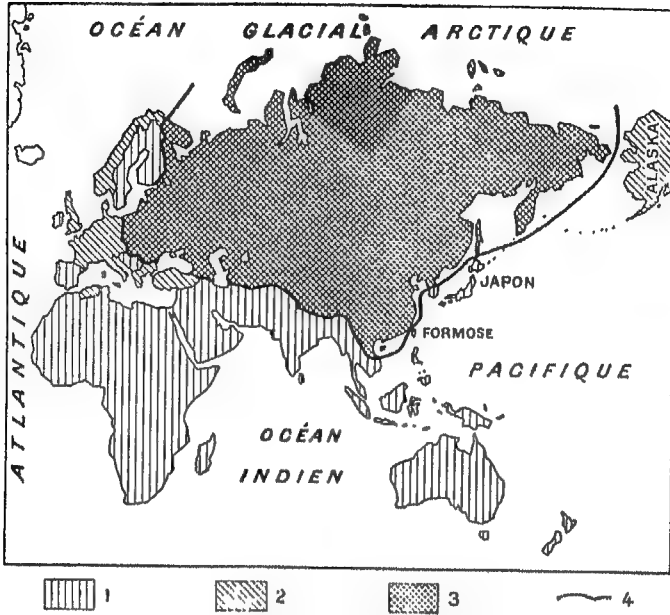
ان هذه الأفكار التي اوردها، تقودنا للإشارة إلى «طبيعة الكتلة الغربية» التي ليست حكراً لها وحدها، ولكن لأنها أساسية في تكوينها أكثر مما هي في غيرها من الكتل !.

فالكتلة الغربية لم يكن بالامكان قيامها أو تطورها إلا على اساس الروابط والمؤهلات التي تربط بين اعضائها عبر القارات والمحيطات . وإذا كان «غزو الفضاء» قد ساعد على ربط معظم نقاط الكرة الأرضية ببعضها فإن الاتصالات والنقل الجوي (للبنائات والأفراد) ستبقى محدودة وباهظة التكاليف، كما ان احجامها واوزانها محدودة، ويختلف الأمر بالنسبة للنقل البحري الذي اصبح «أساسياً» للمبادلات التي لا بد منها للاقتصاد العالمي الحديث، ليس بالنسبة للبلدان المنفصلة جغرافياً بواسطة البحار فقط، بل وبين بلدان القارة نفسها . والدليل على ذلك أن البحر هو الذي يربط بين بلدان البحر المتوسط الأوروبية وليست اليابسة، كما أن البحر هو الذي يربط بين بلدان القارة الأميركية، أي بين بلدان غربي القارة وشرقيها عن طريق قناة بناما .

وهكذا نرى ان العالم الغربي ليس سوى «عالم محيطي»^(١)، بسبب طبيعته ونشأته ووجهته وتكوينه العالمي . ولهذا ايضاً، أن الظن بأن أي بلد من بلدان هذه الكتلة يمكن أن يعيش ويتطور في حدود أراضيه انها هونوع من التفكير القديم الذي اثبتت الاحداث بطلانه، حتى ولو كان ذلك يتعلق «بسياسة العزلة الأميركية أو الأوروبية» .

أما الكتلة الشيوعية «فهي قارية» قبل كل شيء،، وتسعى عن طريق ايدولوجيتها (السياسة والاقتصادية والاجتماعية) لكي تشبع رغباتها العالمية

بالتوسع ، الأمر الذي قادها بشكل حتمي إلى الطموحات البحرية مهما كانت مصطنعة.



الشكل رقم ٢ -

- بلدان العالم الحر
- خط الفصل بين الكتلتين
- المحيطات.

والبلاد الغربية مترابطة أيضاً فيما بينها؛ وإذا كان ذلك يبدو متناقضاً للوهلة الأولى، إلا أن هذه الروابط أكثر حرية في إطار «الغرب» منها بين البلدان الاشتراكية التي تتسم روابطها بالتبعية الكاملة حيال الدولة الزعيمة.

وهناك ميزة أساسية للعالم الحديث، سنأتي على ذكرها في الجزء الخامس (البند ٣)، ألا وهي: «الحجم الأدنى»، وهذا يعني بالضرورة توفر كمية هائلة من الوسائل المتنوعة منظمة في أجهزة ومؤسسات ضخمة بغرض تحقيق المنجزات التي

تلازم التقدم ؛ وان العجز في هذه الوسائل يؤدي حتماً إلى تراكم التخلف واتساع الفوارق بالثروة والقوة.

والواقع أن هذا «الحجم» غالباً ما يكون في الحدود القصوى للمكانيات البلدان المتوسطة بل وقد يتجاوز هذه الامكانيات على الصعيدين الاقتصادي والدفاعي . ولا يستثنى العالم الغربي من مثل هذا الوضع إلا إذا أقيم «توازن للقوى» في داخله، لكي يجنب دوله الحريصة جداً على شخصيتها المستقلة من التبعية للزعيم العملاق الولايات المتحدة الأمريكية^(١).

ان الالتزامات تجاه الحلف، والطموح للمحافظة على الشخصية المستقلة أمران حيويان، ولكن مزجهما لا يمكن ان يتم بسهولة وبدون تضحيات قومية، أي بدون حلول وسط. ومن هنا تأتي كثرة الاتفاقيات والمعاهدات، والاحلاف،

١٥ - الواقع ان البلد الوحيد في اوربا الغربية الذي حاول جدياً التحرر من التبعية للولايات المتحدة الامريكية هو فرنسا في عهد الزعيم الراحل الجنرال ديغول، استطاعت أن تؤكد استقلالها الوطني وتميز سياستها الدفاعية والخارجية عن سياسات بقية بلدان اوربا الغربية وخاصة انكلترا . واستمرت هذه السياسة واضحة حتى نهاية رئاسة الرئيس جورج مومبيدورغم ما لاقته من صعوبات، ويسعى الرئيس الحالي جيسكار ديستانغ جهده للتوفيق بين الاستقلال الوطني وبين سياسة الحليف الأكبر الولايات المتحدة، متجنباً المواضيع التي تثير حساسيات هذا الحليف ولكن دون التغريط بالمصالح الفرنسية الجمهورية، ويعتقد البعض أن هذا الاسلوب الجديد ينطوي على الكثير من المخاطر نظراً لاتساع النفوذ الأمريكي في جميع بلدان السوق الاوربية المشتركة واضطرار هذه البلدان لمائة امريكا، هذا بالإضافة إلى حاجة اوربا الغربية للمظلة النووية الاستراتيجية الامريكية، واخيراً الهيمنة الامريكية على النظام النقدي العالمي، مما تضيق على فرنسا الامكانيات بالمناورة لتباعدة السير في السياسة الديغولية بدون «عظمة وسمة ديغول»

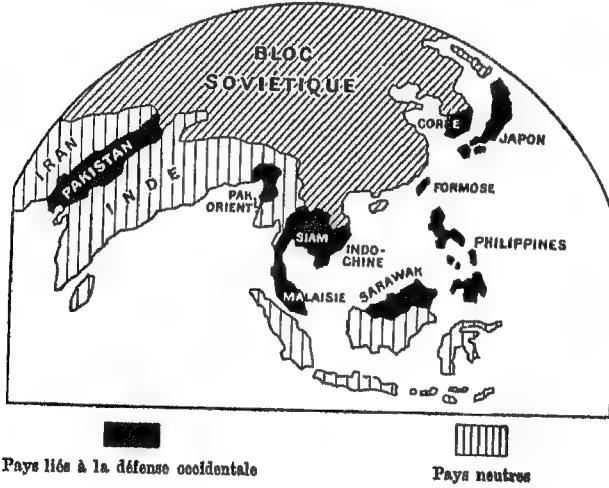
نسبياً، وتأثيرها على بقية بلدان اوربا الغربية، وعندما أصبحت إحدى العوامل الثابتة في سياسة فرنسا الخارجية بعد وصول الحزب الاشتراكي الى السلطة عام ١٩٨١ بزعامة الرئيس فرانسوا ميتران

(المغرب)

والتجارب والمشاريع بين بلدان العالم الحر، مما يعتبر إحدى الصفات النموذجية لعصرنا الحاضر.

وهذه الالتزامات والطموحات لا تقتصر على بلدان «الكتلة الغربية» بل تمتد لتشمل البلدان المتعاطفة معها وغالباً ما تكون على نوعين يتلوا أحدهما الآخر: كالأحلاف الدفاعية، والاتحادات الاقتصادية التي تمهد الطريق نحو الاندماج السياسي الشامل.

ونلاحظ في هذا الاثناء ان هناك «صيغة جديدة» مشتركة تجمع بين هذه الأنواع كلها، فالواقع ان النشاط الفعلي لحلف ما، كان يخضع في الماضي إلى ظهور ظرف معين مسبقاً، أما في هذه الأيام فإن الأحلاف تكون في نشاط دائم في كل الميادين الاقتصادية والسياسية والعسكرية. ويعتبر حلف الأطلسي النموذج الكامل لهذه الأحلاف في صيغتها الجديدة. ولما كان من الصعب ايراد جميع



الأحلاف في الشرق الأقصى
الشكل رقم - ٣ -

المعاهدات المتعددة التي عقدت في العقود الأخيرة من هذا القرن ، (لأن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها وقعت حوالي أربعين معاهدة في جميع انحاء العالم) ، لذلك سنكتفي باستعراض أهم هذه الأحلاف في العالم الحر.

ان حلف الأطلسي (NATO) ، وحلف جنوب شرقي آسيا (OTASE) المكملان بالحلف الاسترالي النيوزيلاندي - الأمريكي ، تغطي مجمل «العالم الغربي» وتحيط بالكتلة الشيوعية من جميع الجهات . أما معاهدة البلقان^(١٦) (التي تضم كلاً من يوغوسلافيا واليونان ، وتركيا) والحلف المركزي (الذي يضم حالياً كلاً من تركيا وإيران والباكستان بعد خروج العراق منه) ، فيدعمان سلسلة الأحلاف ، الغربية السابقة وهدفان إلى ضهان أعلى نسبة من التنسيق والانسجام بين الدول الأعضاء . (انظر الشكل رقم ٢ - والشكل رقم ٣ -) .

وان مبدأ مونرو^(١٧) الذي أوحى باتفاقيات ديودوجانير و^(١٨) وهذه بدورها جسدت التضامن بين جميع بلدان القارة الأمريكية باستثناء كندا . أما أوروبا الغربية فتسير نحو الوحدة بموجب سلسلة من الاتفاقيات الاقتصادية منذ قيام مجموعة دول البنيلوكس^(١٩) ، ومروراً باتفاقية المجموعة الاقتصادية الأوروبية (C.E.E.)^(٢٠) ، واتفاقية السوق المشتركة ؛ ويدفعها في هذا الاتجاه ضرورة تجنب التفرقة المؤذية ، والخوف من النفوذ الأمريكي القوي ، والتهديد السوفياتي المقلق ، والهدف البعيد لهذه المجموعة هو إقامة «كتلة توازن» تقف بين العملاقين ، وأخيراً فإن القارة الأفريقية تشهد في السنوات الأخيرة قيام

١٦ - حلف البلقان .

١٧ - مبدأ مونرو

١٨ - اتفاقيات ريو دوجانيرو :

١٩ - مجموعة دول البنيلوكس :

٢٠ - C.E.E .

مجموعات مختلفة الأنواع والأغراض كما سبق اشرنا اثناء الحديث عن العالم الثالث.

ويجدر بنا الاشارة على سبيل الذكرى . بان الاتفاقيات الثنائية المتعددة (اقتصادية وفنية وثقافية وعسكرية الخ .) التي اقتضتها بعض الحاجات الاقليمية والتي تستند إلى سياسات قومية معينة ، لا يمكن ان يكون لها تلك الاهمية التي للأحلاف ، لأنها لم تنشأ بوحى من الضرورات الجغرافية السياسية ، ولذلك فهي معرضة للزوال السريع .

ومن المخاطرة بمكان الاسراع باستخلاص نتائج نهائية من هذا البحث الموجز الذي لا يمكن اعتباره بحثاً كاملاً بالإضافة إلى أن معطياته قابلة للتغيير . غير أن ذلك لا يمنعنا من الاشارة إلى بعض العوامل الدائمة والاتجاهات البارزة التي امكن الوصول إليها خلال البحث وهذه العوامل هي :

- الموقع الجغرافي : ان الموقع الجغرافي لدولة ما يحدد إلى درجة بعيدة دورها الدولي وعلاقاتها بالدول الأخرى .

- توزيع اليابسة والبحار ، والتعارض الطبيعي بين القوى البحرية والقوى القارية تحتفظ بقوتها كقوائم جغرافية ثابتة .

- المواصلات والنقل : هما عنصران اساسيان في حياة العالم الحديث ، وقد تتعرضان للزوال بدون المبادلات المتعددة بين البلدان ، علماً بأن هذه المبادلات اصبحت حيوية بالنسبة لجميع الشعوب ولا يمكن الاستغناء عنها .

- الانسان : هو العنصر المسيطر والحاسم وذلك بفضل ملكاته العقلية والعاطفية ولأن سلطته على الأشياء تزيد باستمرار دوره الحاسم ، إذ هي تساعد على تكييف أو تعديل الامكانيات الطبيعية في اطار مجالته الأرضي .

غير ان الانسان يبقى عرضة للتأثر بالايديولوجيات ، والأفكار والعادات والتقاليد والمعتقدات التي اورثتها له الحضارات والاعراق ، كما ان قدراته ليست متساوية عند جميع الشعوب : وان المبادلات المتنوعة والاتصالات كفيلة بتخفيف

هذه الفروق إلى حد بعيد . كما ان اتساع السلطات والوسائل التي في حوزة الانسان تُدعم من الوقائع الجغرافية - السياسية .

- المجموعات الاقليمية : ان غالبية هذه المجموعات على مختلف اشكالها واغراضها ، إذا لم نقل كلها - تشكل عادة من بلدان ليس لها «الحجم الادنى» الضروري لضمان الإزدهار والدفاع عن النفس باستقلال كامل ؛ وان تاريخاً مشتركاً وصحياً ، يحاك بين بلدان هذه المجموعات ، تدريجياً ترضه المبادلات والروابط والعادات الناشئة .

- التنظيم الاقتصادي ، والتنظيم الدفاعي : يميلان هذان التنظيمان إلى تجاوز الاطار القومي باتجاه الاطر الاقليمية والدولية ، على الرغم من الانتفاضات الفجائية التي لا يمكن تفاديها .

- التقدم : يتجه إلى خلق اسلوب للحياة متشابه في كل الامكنة من الكرة الأرضية ، واعطاء هذه الحياة صفتين أساسيتين : وحدة المعايير ، وخلق حاجات معينة بفرض تنمية القدرة على استهلاك الانتاج الغزير .

غير ان هناك اختلافات لا بد وان تقوم في البلدان التي تحاول توجه التقدم باتجاه معين .

- الخط البياني للحواجز السياسية في العالم : طرأ على هذا الخط الكثير من التغيرات منذ بداية القرن الحالي . ومع ذلك فإن هذه الظاهرة السطحية قد تكون خادعة أحياناً لأنها لا تتطابق دائماً مع الحقيقة الجغرافية السياسية . وان الخريطة التي تمثل هذه الحواجز (أو التقسيمات الدولية الجديدة) مزيفة إلى حد ما . ولا بد لها لكي تنطبق على الواقع من ان تبرز الكتل الكبرى التي غالباً ما تكون مختلفة عن خط الحدود الرسمية القائمة . والتحول الحقيقي للعالم على محيط وتكوين هذه الكتل ، كما يؤثر على شبكة العلاقات التي تقوم في داخلها أو تربط فيما بينها . ومن بين فضائل الدراسة السريعة للجغرافيا السياسية اظهار هذا الواقع الهام بالنسبة للمستقبل .

٢ - القوى الجاذبة والقوى النابذة ومناطق العظمة ومراكز القوة^(٢١)

تتداخل هاتان القوتان على عمل الساحات التي تشكل تقسيم وتصنيف البلدان فوق سطح الكرة الأرضية .

فالعلاقات الروحية المتنوعة تشكل «قوى جذب» بين البلدان التي تتقاسم نفس المفاهيم المعنوية والثقافية كالدين المشترك واللغة، والبرامج التعليمية الموحدة، في المدارس والجامعات، والآثار التاريخية، الخ . والشعوب اللاتينية فيما بينها، والشعوب الانكلو- ساكسونية، والمستعمرات القديمة بالنسبة للدول التي كانت تستعمرها، ليست الأمثلة الوحيدة على ذلك .

كما أن الأهداف السياسية الواحدة، والآداب المتشابهة التي ترجع للمناخ الواحد، تشكل عناصر جذب هامة، وأخيراً فإن ردود الفعل ضد ايديولوجية معادية ما، يمكن أن تقرب بين الشعوب المختلفة جداً، كما هي الحال مثلاً بين تركيا والنرويج في إطار حلف الأطلسي (NATO) .

والعلاقات الدولية والمبادلات المتنوعة تعتبر من العوامل الهامة في تطوير هذه القوى، وغالباً ما تكشف عن مواضيع أكثر مما تكشف عن مبررات للخلاف، وهذه الأخيرة ترجع في الغالب إلى الأحكام وكراء المسبقة أو السطحية التي كرسها الجهل المتبادل .

وتعود «القوى الجاذبة» لأسباب مادية من السهل تمييزها . ففي ميادين الاقتصاد والمواصلات والدفاع الوطني، يمكن للاتفاقيات المطبقة تطوير هذه القوى على الرغم من كل ما فيها من تناقضات، لأنها تنسج ببطء بين البلدان المتعاقدة تاريخاً مشتركاً، لذا يستحسن المحافظة عليها حتى ولو بدا ان محسناتها في طريق الزوال . ويمكن لحلف الأطلسي - على هذا الاساس - ان يخلق مثل هذا التاريخ كما يمكن «لأوروبا المتحدة» أن تولد من العادات التي تكرسها اتفاقيتا الأسرة الاقتصادية والسوق الأوروبية المشتركة .

٢١ - Les Zones de prumauries و et les centres de forces .

وفي الماضي لم تستطع «القوى النابذة» ان تثبت فعاليتها إلا في حالات البلدان المتجاورة أو القريبة من بعضها. ولكن الواقع الراهن الذي يكمن في سهولة واتساع سبل المواصلات، يساعد على اقامة علاقات فعلية مع جميع انحاء العالم. هذا العالم الذي تغير وجهه الجغرافي - السياسي إلى حد بعيد.

ويمكن لنفس هذه القوى أن تنشئ «عناصر نابذة» عندما تتعارض المفاهيم بين بلد وآخر. غير ان هناك أسباباً أخرى للتناظر منها: ذكريات الماضي التي تنطوي على الاحقاد وعدم الثقة والرغبة بالثأر والمصلحة في تأجيج هذه المشاعر أو اصطناعها كلياً.

ونحن نعلم أن القوميات الفتية غالباً ما تلجؤ لهذه السبل وفي مثل هذه الحالات يقدم التكنيك الحديث امكانيات هائلة للتأثير على الرأي العام مهما بعدت المسافات.

وأخيراً يمكن للاعراق والديانات ان تكون أيضاً مبررات فعالة للتناذب. ومن الملاحظ ان بعض المناطق لا تزال مسرحاً لمثل هذه الصراعات (العرقية والدينية) ونخص منها بالذكر البلدان الآسيوية، والبلدان الإسلامية^(٢٢).

ومن الواضح أن بعض «المناطق المتميزة» تلعب ادواراً من الدرجة الأولى في التوازن الاقتصادي والسياسي العالميين: فالعالم جون ماكندور كان يرى ان منطقة العظمة^(٢٣) هي في «الجزيرة الكونية World's land» وقد تبني الخبراء الاميركيون هذه المقولة وطبقوها على بلدهم، كما فعل الألمان من قبلهم. ويميز الاستاذ (G.T. Renner). ج. ت. رينر من جامعة كولومبيا في امريكا، يميز من ثلاث

٢٢ - يتجاهل المؤلف متعمداً على الأغلب - الصراعات التي تجري في ايرلندا بين البوتستانت والكاثوليك، والصراع العرقي الذي يستند إلى التفرقة العنصرية، والذي تشنه الدول العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا ضد الاكثرية السوداء من سكان البلاد، وكذلك الفلسفة العنصرية والدينية التي تقوم عليها السياسة التوسعية الصهيونية.

(المغرب)

٢٣ - منطقة العظمة Lz Zone de puissance

مناطق للعظمة وهي :

- اوريا بمجموعها، وامريكا الشمالية الشرقية ومنطقة جنوب شرقي آسيا .
وة - حُددت «مناطق القوة»^(٢٤) على نطاق أضيق رغم انها تتبوأ فعلياً مكانة
من الدرجة الأولى ، والأمثلة البارزة على هذه المناطق هي :
- المجموعة الصناعية التي تغطي اجزاء من فرنسا وبلجيكا والكوكسمبورغ
وحريص الروهر في المانيا .

- والمنطقة الصناعية الواقعة شمال شرقي الولايات المتحدة الامريكية .
ان مراكز القوة هذه قابلة للتغير مع الزمن ، فبعضها يضم والبعض الآخر
يختفي تماماً ، بينما تظهر مراكز اخرى جديدة . والحقيقة ان عناصرها المكونة تبدل
أيضاً ، ومن الأدلة الواضحة على ذلك أن مناطق انتاج الزيت كانت لفترة طويلة
من العوامل الحاسمة ولكن اكتشاف البترول أبطل الكثير من المعايير السابقة
وادخل تعديلات جوهرية على الجغرافيا - السياسية ، وسيبقى الأمر كذلك إلى أن
تغير الطاقة النووية (أو أية طاقة أخرى) هذه المفاهيم .
ومن الجدير بالذكر أيضاً أن تطوور وسائل النقل ساعدت على التركز
الصناعي في أماكن كانت تبدو في الماضي القريب من المستحيلات^(٢٥) .
وأخيراً فإن انطلاق «البلدان النامية» على طريق التطوور والتصنيع اخذ
يرسم مراكز للقوة في منتهى الجدة .

والتقسيم السياسي للعالم لا علاقة له اجمالاً بهذه القوى ، وهو في كثير من
الأقاليم سابق لزمان اكتشافها ، وان المبررات المعنوية التي بني عليها تتفوق غالباً
على النواحي المادية المرتبط بمراكز القوة حتى ولو كانت تؤمن للسكان حياة
أفضل .

لهذا لا بد من الاعتراف أن الخيارات المعنوية لا تتطابق بسهولة مع الحتمية
الجغرافية - السياسية .

٢٤ - مراكز القوة Les Centres de Forces

٢٥ - من الأمثلة البارزة على هذه المناطق الاسكا في امريكا ، وسيبيريا في الاتحاد السوفياتي .

الجزء الثاني

الجغرافيا - الاستراتيجية LA GEOSTRATEGIQUE

«الحرب فن بسيط وكله تنفيذ» .
● نابليون بونابرت

ان المبادئ الأساسية للستراتيجية بسيطة، والحلول الممكنة فيها ليست متعددة اطلاقاً ولا هي معقدة. غير ان الخيار الواجب اتخاذه بينها، وكذلك التنفيذ يتطلبان من القائد (اورجل الاستراتيجية) كفاءة عالية وصفات استثنائية، لأن القادة الكبار في التاريخ «حالة نادرة».

ولن نحاول هنا أن نعالج سوى احد المميزات الرئيسية التي تقوم عليها «كفاءة القائد العسكري» وهي :

دراسة العلاقات بين المشاكل الاستراتيجية من جهة ومن عوامل الجغرافيا - السياسية، وهذه العوامل لم تعد اطلاقاً مقتصرة على المميزات الطبيعية للأقاليم، كما كانت في الماضي، بل هي اليوم جميع العوامل التي تلعب او يمكن ان تلعب، دوراً في الجغرافيا السياسية، وأثارها هنا (أي في الاستراتيجية) وهناك متشابهة. وقد اصبح من اولى واجبات القادة السياسيين والعسكريين أن يحسبوا حسابها في خططهم الخاصة، لأنها توفر لهم قواعد مشتركة، تستوجب المطابقة المسبقة والتعاون الوثيق في أيام السلم وفي زمن الحرب.

ولهذه الأسباب تعتبر «الاستراتيجية» من اختصاص كبار المسؤولين من سياسيين وعسكريين في أعلى المستويات الحكومية.

و«الجغرافيا - الاستراتيجية» هي الشقيقة الثانية للجغرافيا - السياسية، وتشكل معها، «لوحة مزدوجة ومنسجمة» تزود القائد السياسي والقائد العسكري بأسلوب موحد للاقتراب من المشاكل المترابطة بالضرورة في العالم الراهن، وهي تحظى «بشرعيتها» تدريجياً لأنها تعالج مجموعة العلاقات الأساسية في الحياة الحديثة للدول.

الفصل الرابع

تطور الاستراتيجية

«... هذا الخمول الذهني الذي يعتبر
الاستراتيجية مكانه المفضل»
● الاميرال كاستيكس

١ - الآراء الكلاسيكية

ان تخطيط وإدارة وتنفيذ «العمليات العسكرية» يتم على صعيدين يجب التمييز بينهما:

فالأول هو «المستوى الاستراتيجي» حيث يجري فيه «التصور العام للعمليات» والتنبؤ بمجموعة التحركات والإدارة البعيدة للقوات المشتبكة في المعركة. والقائد (الاستراتيجي) يستوحي افكاره من «المذاهب العسكرية» ليضع على اساسها الخطط الشاملة على المدى القريب والبعيد.

والثاني هو «المستوى التكتيكي» (التعبوي) وغايته الوصول إلى أقصى حد ممكن من «فعالية المناورة والأسلحة» اثناء القتال على الأرض، والقائد العسكري التكتيكي، يستند إلى قواعد محددة ويطبقها مباشرة بما يتلاءم وشروط المعركة وتطوراتها.

وهكذا يتضح أن «الاستراتيجية» و«التكتيك» تحتلان مستويات مختلفة، أما في الميدان الجغرافي الذي نحن بصدده فإنها تبحثان الأشياء من زوايا مختلفة تماماً: «فالتكتيك» يجب أن يتكيف حسب الخصائص المحلية الآنية، وخاصة الطبيعية منها.

أما «الاستراتيجية» مهمتها - على العكس تماماً - معالجة مشاكل أكثر اتساعاً، وأقل محدودية في الزمن وعليها أن تدرك بعمق العوامل التي تقوم عليها الجغرافيا السياسية، وأن تستغلها بنفس الروح. ولن يعود ثانية إلى التكتيك، لأن هذه المقارنة السريعة تسمح لنا بعد الآن بالاحاطة بميدان الاستراتيجية.

والحقيقة يمكن التصور مباشرة بأن «الحد الأعلى» للاستراتيجية هو «السياسة» التي تغطي جميع فعاليات ونشاطات وتنظيمات بلد ما، وأن «الحد الأدنى» للاستراتيجية هو «التكتيك» الذي يعتبر عملاً عسكرياً صرفاً من اختصاص القيادات العسكرية.

ويمكن أن نفهم من هذا أيضاً إلى أي حد يمكن أن تختلف، «مفاهيم القائد العسكري الاستراتيجي» التي توازي «مفاهيم رجل الدولة السياسي» وتتفق معها، عن مفاهيم «القائد العسكري التكتيكي» التي لا تتجاوز كونها مفاهيم فنية من مستوى رفيع هم قبل كل شيء المردود العملي الملموس على ساحة المعركة. ولقد كان من الممكن في الماضي تعريف الاستراتيجية بكل بساطة، عندما كانت الحرب فقط بين جيشين محدودي العدد والعدد دون أن تساهم بلديهما عملياً بهذه الحرب. ولكن الأمر يختلف تماماً في هذه الأيام^(١)، حيث أصبحت «القوى

١ - لا تزال الحروب المحلية والإقليمية التي تنشب بين البلدان النامية، تغلب عليها الطابع القديم رغم كل ما تحشده من امكانيات بشرية ومادية، نظراً لقصرها من الناحية الزمنية، ولرغبة الأطراف المتحاربة في عدم زج جميع امكانيات البلاد في الحرب الأمر الذي قد يخرجهما من الاطار المرسوم لها ويفتح المجال الواسع لتطورها وامتدادها إلى مستويات اقليمية ودولية يصعب التحكم فيها في الظروف الدولية الراهنة. ويمكن ايراد حروب الشرق الأوسط، والنزاعات

التصارعة» لا تقتصر على القوات المسلحة فحسب، بل تشمل البلاد بكاملها، فتكرس جميع النشاطات والفعاليات (المادية والبشرية) للمجهود الحربي، منذ الفترة التي يبدؤ فيها الاعداد للحرب، وتكون كلها بنفس الوقت معرضة لضربات العدو. ولم تعد الاستراتيجية عملاً عسكرياً من وجهة النظر التي تمنا في هذا البحث، بل يجب عليها أن تأخذ بعين الاعتبار جميع «العوامل المتغيرة» للجغرافيا - السياسية، طبقاً للظروف المتعاقبة المحتملة للظهور.

وعلينا إذن ألا نقتصر في بحثنا على الجغرافيا بل يجب ان نعالج «الجغرافيا - السياسية الملائمة لعصر الفضاء». ولهذا السبب بالذات، وبهذه العقلية يعمد الانكلو- ساكسون إلى جمع البحوث الجغرافية وعناصر الاستراتيجية في كتاب واحد (والمثال على ذلك هو كتاب «جغرافيا العالم السياسية World Political Geographie» من تأليف ايتزل ETZEL وفيفيلو Fifield في امريكا او الجغرافيا العسكرية الامبراطورية.

Imperial military Geographie من تأليف كول Kool في بريطانيا).

والمبادئ العامة للاستراتيجية قليلة العدد وقد أجملها المارشال فوش^(١) في ثلاثيته المشهورة:

«الاقتصاد بالقوة، ووحدة وحرية العمل» وهي تهدف على الصعيد العسكري للبحث عن تدمير قوات العدو المسلحة بأساليب متنوعة لكل منها أنصاره المتحمسين، ولكنها كلها تخضع دائماً لقانون عام لا يعرف الاستثناءات إلا نادراً ألا وهو: «أن النصر للأقوى، وأن الهدف الأساسي للمناورة الاستراتيجية هو

التي جرت على الحدود بين الباكستان والهند، وبين الصين والهند، وكذلك الحروب والاشتباكات التي تجري على ارض القارة الأفريقية، وفي جميع هذه الحروب يلاحظ أن الحياة العادية في داخل البلدان المتحاربة تكاد تستمر على حالها دون أي تغيير ولا يشعر الناس بوطأة الحرب إلا عن طريق وسائل الاعلام.

٢ - المارشال فوسن هو القائد العام الفرنسي لقوات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى.

في النهاية خلق الشروط التي تجعلنا في وضع الأقوى، في الزمان والمكان المطلوبين». وان عبقرية نابليون بونابرت العسكرية كانت أساساً في نجاح مناوراته الاستراتيجية بشكل نظامي مدهش».

والستراتيجية العامة ترمي إلى دراسة ومعالجة «مجمل الحرب» او الصراع بفرض توجيه كل القوى والوسائل المساهمة فيها، وهي تمارس فوق «مسارح العمليات»؛ وكل «مسرح» منها يتطابق مع «منطقة جغرافية» معينة، ويوحى بمفهوم استراتيجي خاص به يكمل الاستراتيجية العامة.

والصفات الجغرافية لمسرح عمليات مالاتحدد الحلول الاستراتيجية الممكنة فحسب، بل تحدد نوع القوى المطلوبة والمناسبة للعمل فيه. لذا فمن الضروري ان يراعى في تنظيم وتسليح وتجهيز القوات المحاربة شروط وطبيعة مسرح العمليات الذي ستعمل فيه.

وأخيراً، هناك عنصر وحيد يعطي لكل مسرح عمليات صفته المميزة، فالأرض والبحر لكل منها استراتيجيته الخاصة (برية، وبحرية)؛ غير أنه من الممكن أن تكون المبادئ العامة واحدة في كل هذه المسارح مع اختلاف الوسائل والشروط الخاصة بكل منها، وغالباً ما تختلف المذاهب العسكرية حول هذه المبادئ تبعاً للنتائج السيئة التي ترتبت عليها.

وقد ادخل «غزو الفضاء» عنصراً ثالثاً على الاستراتيجية، فأصبح للقوى الجوية استراتيجيتها منذ ان وثق هذا السلاح بنفسه وبدوره الحاسم في المعركة وأثبت ذلك عملياً.

وسوف نرى كيف ان التطور العميق للأسلحة والوسائل الدفاعية، والتقدم التقني، بل وتطور العالم نفسه، كيف ادت جميعها لالغاء جزء من الصعوبات والمعوقات ولاعطاء العوامل الجغرافية دوراً جديداً في الاستراتيجية.

٢ - الشروط الجديدة

ان التبدلات التي غيرت وجه العالم تعطي للصراعات المساحة صفات

جديدة متعددة وشديدة التعقيد، ليس من السهل تخيلها مسبقاً. كما لم يعد للحرب صفة واحدة إطلاقاً وإنما عدة صفات تتجمع لتمييز الحرب الحديثة بأشكالها المتغيرة، وتكوّن عوامل جديدة ودائمة للستراتيجية. وسنذكر فيما يلي هذه العوامل محاولين تلخيص تأثيرها على الاستراتيجية:

آ - الأسلحة: وأول ما يسترعي الاهتمام هو تلك الزيادة الهائلة في قوة الأسلحة الكلاسيكية، وظهور أسلحة جديدة وخاصة منها السلاح النووي ذو القوة التدميرية الخيالية. وهذه الزيادة بالقوة رافقتها زيادة بالمدى أي إمكانية ضرب قطاعات واسعة جداً: وحلت الطائفة أحياناً محل المدفع، واستخدم الصاروخ بدلاً من الطائفة، ومع ذلك لم يبلغ أي من هذه الأسلحة السلاح الآخر لأن ضرورات المعركة تتطلب أحياناً توجيه القذائف إلى أهداف قريبة جداً، وأحياناً أخرى توجيهها إلى أهداف بعيدة.

والواقع أن أهم ما يمتاز به السلاح الحديث هو أنه أصبح يتكون من «مجموعة متكاملة»، فنحول من «سلاح بسيط» إلى «سلاح مركب» متنوع جداً حسب تنوع واختلاف طبيعة الأهداف (الوحدات البرية، الطائرات، السفن، الغواصات الخ. .)؛ وهذه المجموعة هي: «السلاح - جهاز التسديد - القذيفة - جهاز التوجيه».

إن هذا التطور الكبير لم يغير المبادئ الاستراتيجية، التي توصي دائماً بضرورة العمل على خلق الوضع الملائم الذي يجعل العدو في موقف الضعف ويعطي الفرصة لقواتنا لضربه من موقع القوة؛ ولكنه تطور الأسلحة أدى إلى تطور في أساليب القتال أي أنه أدى إلى تغيير في التكتيك.

ب - الواقع النووي: يهيمن الواقع النووي على الاستراتيجية في الوقت الحاضر، ولكن ذلك لا يخلو من التناقض في أغلب الأحيان. فقد أصبح معلوماً من الجميع أن الحرب النووية الشاملة ستؤدي إلى كارثة عالمية مروعة، لا يستطيع أحد تصور نتائجها الكاملة. ولما كانت أطراف النزاع الكبرى تملك قوى نووية متعادلة، فإننا لا نعتقد بأن أية دولة منها يمكن أن تتحمل مسؤولية تفجير الحرب.

النوية الشاملة . ولهذا نلاحظ أن العالم وصل إلى مرحلة «التوازن النووي القائم على الردع» أي على التهديد بالرد النووي الكافي لكي لا يكون أي هجوم نووي مفاجيء عملية رابحة .

غير أن هذا «التوازن النووي» لا يلغي الحروب ، وإنما يحولها إلى «نزاعات اقليمية» لا تستخدم فيها الأسلحة النووية بالتواطؤ الضمني بين القوى العظمى . ولا يستبعد أن يأتي اليوم الذي ستستخدم فيه الأسلحة النووية على نطاق ضيق^(٣) (أي استخدام الأسلحة النووية النظيفة أو التكتيكية مثلاً) .

ومع ذلك فإن الخطر الرهيب لا يزال يخيّم فوق رؤوس البشرية بسبب الخوف من نشوب الحرب النووية عن طريق الانزلاق التدريجي أو الخطأ . ويعتبر هذا الخطر نوعاً من التهديد وأسلوباً من اساليب الابتزاز، يشغل كاهل العلاقات الدولية ولا يمكن للمخططات الاستراتيجية أن تتجاهله مهما كان نوع الحرب التي تعالجها .

هذا وإن استغلال «الطاقة النووية» كوقود للمحركات ، بدأ يلعب دوراً رئيسياً في الاستراتيجية ، فهو يعطي للسفن «مدى عمل» يكاد يكون قريباً من

٣ - لقد وصلت الأوضاع في حرب كوريا ، وحرب فيتنام إلى الحد الذي كاد يدفع بالولايات المتحدة الأمريكية إلى استخدام الأسلحة النووية ، فقد أدى ذلك إلى هزل الجنرال ماك آرثر من قيادته خوفاً من ردود الفعل السوفياتي التي قد تفجر الحرب النووية وتقول بعض المصادر التي لم تتأكد بعد ، أن «اسرائيل» كادت تستخدم السلاح النووي بعد الزلزال الذي حل بقواها المسلحة في الأيام الأولى من «حرب تشرين» والتي اوصلتها إلى حافة الهزيمة المؤكدة لو لم تنقذها الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق «الجسر الجوي» الذي قلب معادلة الحرب لصالح اسرائيل ، وحال دون استخدام «القنبلة النووية الاسرائيلي» كما يؤكد بعض الخبراء أن الانذار السوفياتي الذي وجهه بولفانين إلى انكلترا وفرنسا اثناء حرب السويس عام ١٩٥٦ كان جدياً وتفصح منه رغبة الاسلحة النووية ، وإن هذا الانذار مضافاً إليه موقف الولايات المتحدة اميركية الأخير من العدوان أجبر الاطراف الثلاثة المعتدية إلى الانسحاب .

(المغرب)

اللانهاية ، ويجعلها أكثر استقلالية ويسمح للغواصات بشكل خاص بالبقاء اطول مدة ممكنة تحت الماء ، أي أنها تبقى مخفية لمدة طويلة وهذا يزيد من صعوبة كشفها ويمكنها من القيام بالهجوم المفاجيء انطلاقاً من أية نقطة في البحار.

جـ - الوسائل المادية : تمتلك الجيوش الحديثة وسائل متنوعة أقوى من سابقتها بما لا يقدر، فالطيران والآليات والصواريخ واجهزة الاتصال وأجهزة الرصد والكشف البعيد الالكترونية (الرادار، واجهزة رصد الغواصات الخ . .) . واجهزة التوجيه عن بعد . . ، وهذه المنجزات المتطورة جداً أحدثت انقلاباً في طريقة استخدام القوات المسلحة وضاعفت من امكانياتها . فقد ازدادت حركة القوات عشرات المرات من حيث السرعة والمسافة ؛ وأصبحت الحواجز الطبيعية التي كان من المستحيل اجتيازها في الماضي (كالجبال وبحاري المياه . .) قابلة للاختراق أو الالتفاف حولها بسهولة ؛ ولم يعد الطقس يمثل نفس الشروط الصعبة التي كانت له سابقاً، وهكذا أصبح بمقدور الوحدات العسكرية مباشرة القتال في أي مكان وتحت أي ظروف مناخية . غير ان هذه المميزات الجديدة لا تخلو من جوانب سلبية ، لأن الوسائل الحديثة تحتاج إلى التمرين والصيانة ، بالإضافة إلى انها على جانب كبير من الحساسية والتعقيد مما يشكل بحد ذاته اعباء كبيرة لا بد للاستراتيجية أن تأخذها بعين الاعتبار.

ولما كان باستطاعة الطائرات والصواريخ بلوغ أي هدف فوق سطح الكرة الأرضية فإن الحرب أصبحت تشمل كل مكان ولم تعد محصورة في منطقة القتال ؛ كما لم يعد هناك «مؤخرات» فكل السكان وجميع المنشآت والثروات أصبحت مهددة . يضاف إلى ذلك أن القتال يجري الآن في الفضاء وفوق البحار وتحت الماء ، ولهذا أصبح على الاستراتيجية استغلال أنواع جديدة من الجغرافيا ، ألا وهي : «الجغرافيا - الفضائية» ، وجغرافية اعماق البحار، وهما مادتان جديدتان تزداد أهميتهما يوماً بعد يوم .

إن المواصلات الالكترونية المتعددة تضمن ايصال المعلومات بأقصى السرعة والكمال ، وهذه الامكانيات مضافة إلى مرونة حركة القوات يمكن ان

تؤدي دفعة واحدة إلى «مركزية القيادة في الانساق الاستراتيجية» وتجعلها «أكثر استقلالية على الصعيد التكتيكي»، هذا بالإضافة إلى أن الكشف الأكثر ومغناطيسي في الجو (الرادار) وتحت البحار (السونار وغيره) يساهم مساهمة فعالة في هذا الاتجاه.

وسوف نرى والحالة هذه أنه لم يعد من الممكن تلبية حاجات الاستراتيجية من هذه الوسائل إلا إذا استثمرت بعض عوامل الجغرافيا - السياسية.

د - الامتداد السياسي والطبيعي : ان ارتباط الدول ببعضها البعض هو واقع جغرافي - سياسي حديث ، يزيد بسرعة مضاعفات نزاع ما ، حتى ولو بقيت العمليات العسكرية البحتة محصورة . إذ سرعان ما تدخل إلى الميدان المصالح المتعددة تدعمها الايديولوجيات - فتضع كلاً من الخصمين المتنازعين تحت راية معينة ، دون أن تتعرض لاتساع العمليات العسكرية في البداية ولكن هذه لا تلبث أيضاً أن تتطور إلى صراع اقليمي او دولي (نصف عالمي) بل وقد تؤدي إلى حرب عالمية شاملة .

وهكذا نرى ان القرارات الاستراتيجية تتأثر مباشرة بالتهديدات المستمرة وبالمساعدات المادية والمعنوية التي تقدمها القوى الأجنبية لطرفي النزاع . ولا يمكن بالتالي ان تكون هذه القرارات مستقلة عن السياسة ، بل على العكس ، يجب ان تكون ترجمة لها في الميدان العملي .

لقد كانت السياسة في الماضي تكتفي بقرار اعلان الحرب وتحديد اهدافها ومن ثم تترك للعسكريين قيادة الحرب على هواهم ، حتى إذا انتهت الحرب عادت السياسة لاستثمار نتائجها على الصعيد الدبلوماسي . أما اليوم فعلى «السياسة» أن تقوم بإدارة الحرب مهما طال ، لأن لكل «عملية استراتيجية» مضاعفات مباشرة واسعة وعميقة من جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكل من هذه النتائج لا يؤثر على المعركة فحسب بل يتجاوز ذلك إلى التأثير على العوامل الجغرافية السياسية وتوازنها في صف الاصدقاء وجبهة الاعداء مما قد يكون له تأثير كبير على عالم ما بعد الحرب .

أما الحروب الاقليمية (المحدودة) المتكاثرة فلا يمكن أن تبقى محدودة إلا إذا كانت قصيرة جداً ليس في مرحلتها النشطة فحسب بل وفي مرحلة اعدادها ونشوبها . وهذا الشرط ضروري بشكل خاص للحروب التي من انواع «التدخل» أو «عمليات حفظ الأمن»^(١) . ومن واجب الاستراتيجية في مثل هذه الحالات البحث عن القرار السريع واطالة الصراع ، إذا كان الوضع يتطلب حصر الصراع أو توسيعه . وفي حالة عدم اتخاذ القرار السريع يمكن ان نعرض نتائج العمل العسكري إلى الخطر بسبب المضاعفات السياسية واتساعها : وعملية السويس عام ١٩٥٦^(٢) تعتبر مثلاً حياً لمثل هذه الحال بل ومن المؤسف أن هناك عمليات مماثلة أخرى (كذا) . .

هـ - المعنويات والايديولوجية : لقد اثارت الايديولوجيات مشاعر العديد من الشعوب وأججتها الى أقصى الحدود . وأصبح الوضع الدولي نتيجة لذلك في منتهى الحساسية . وفي هذا الجو العاصي المتوتر غدا السلاح النفسي (السلاح

٤ - من الأمثلة على حروب التدخل ، تلك الحملة الثلاثية التي شنها كل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر في عام ١٩٥٦ . والعمليات الاسرائيلية التي قامت بها اسرائيل في عام ١٩٧٨ في جنوب لبنان .

أما عمليات حفظ الأمن ، فالمثال النموذجي عليها هو تدخل القوات المظلية الفرنسية والبلجيكية في زائير في عام ١٩٧٨ اثر الغارة التي شنتها الدرك الكاتنجي على منطقة كولوزي الصناعية في زائير .

(المغرب)

٥ - ان الاسف هو تعبير عن رأي المؤلف وهو بالطبع ابعد ما يكون عن الحياء ، ولا يمكن ان نشاطره أسفه ذلك أنه يأس على فشل سياسة التدخل الاستعمارية بينما نقف نحن في الجهة المقابلة ، التي يقتضي طبيعة وضعها تبني استراتيجية مضادة فإذا كان «العدو المتدخل» يهدف إلى اجراء حرب سريعة خاطفة كان على الضحية ان تبحث عن كل الوسائل لمتعه من الوصول إلى هذا الهدف وذلك باطالة الحرب وحرمانه من اجراء معركة حاسمة ، والبحث عن جميع الوسائل اللازمة لهذه الاستراتيجية الدفاعية ، ويمكن ايراد حرب الاستنزاف التي لجت اليها سورية عام ١٩٧٣ بعد ان وافقت مصر على وقف القتال . (المغرب) .

السيكولوجي) سلاحاً أساسياً يشكل تهديداً رهيباً على معنويات السكان في الحروب الحديثة .

وتبوأ هذا السلاح المكان الأول والمفضل في الحروب ذات الطابع الثوري ، حيث نحل حرب الأنصار وعمليات التخريب والاعتداءات على معارك الجيوش النظامية ، وقد تكون مكتملة لها في بعض الأحيان ، بل وقد يكون الشكل الوحيد الذي قد يستخدم في وضع ما نظراً لفعاليته وكفايته بالنسبة للظروف القائمة . وقد يأخذ الصراع أحياناً شكل التوتر الدائم المستمر ، والذي لا يصحبه بالضرورة اراقة غزيرة للدماء . وهذه الحالة تعتبر مظهراً من مظاهر «الحرب الباردة» .

ومثل هذه الحروب (الثورية) تتطلب مفاهيم استراتيجية خاصة متلائمة معها ، وتختلف تماماً عن الآراء الاستراتيجية الكلاسيكية . ولكننا سرعان ما نكتشف ان «النقاط الحساسة» في الجغرافيا - السياسية تبرز في هذه الحروب بالضرورة كمعطيات أو كأهداف من الدرجة الأولى .

٣ - الصفات الحالية للاستراتيجية

لا بد من تصور الاستراتيجية في هذه الأيام على أساس المعطيات القديمة الدائمة ، التي يضاف إليها بل وتختلط بها الشروط الجديدة التي أتينا على ذكرها . وهذه الشروط تؤدي إلى أحداث تطوّر يؤثر مباشرة على مفاهيم الاستراتيجية الحالية الممكنة وسنحاول استخلاصها تدريجياً .

رأينا فيما سبق كيف ان التقدم العلمي والتقني يزود الأسلحة الثلاث البرية والبحرية والجوية ، بدرجات متفاوتة ، بسميزات مشتركة : كالحركة والسرعة والمرونة وسرية الاستخدام ، والاستقلال الإداري ، والجاهزية الدائمة ، والكاملة والسرعة لشبكات الاتصال السلوكية واللاسلكية . كما رأينا أن القوات البرية تتجه نحو الحصول على المميزات التي كانت من الخصائص التقليدية للقوات البحرية والجوية . ومن الطبيعي إذن ان تتطور الاستراتيجية العامة باتجاه بعض

الصفات النموذجية للقوى البحرية، وهي شروط تمليها المسافات الطويلة، والمساحات الشاسعة والسرعة وسرية الحركة، والانتشار الطبيعي، والحشد السريع من أجل القيام بعمليات عنيفة وقصيرة ومتجددة. كما تمليها أيضاً. . الشؤون الادارية^(٦) المنتشرة والمتحركة.

ما الطيران فيلعب دوراً أساسياً لا سابقة له نظراً لكثرة وتنوع استخداماته في جميع العمليات ومراحل الحرب، وقد يكون هذا الاستخدام لمصلحته المباشرة أو لتقديم الدعم والتعاون مع القوى الاخرى البرية والبحرية، وادى هذا التطور إلى ان يصبح للقوى البحرية طيرانها الخاص لدرجة أنه لم يعد هناك في هذا السلاح إلا عمليات أو مجموعات بحرية - جوية.

والاسلحة الثلاث ترتبط ببعضها ارتباطاً عضوياً. وثيقاً لكي تؤمن حياتها نفسها وتضم فعالية عملياتها التي تتكامل وتتساند فيما بينها بشكل غير مباشر في الخطوط الامامية، وهذا يتطلب تنسيقاً مستمراً في مستوى القيادات العليا، او بشكل مباشر اثناء تنفيذ العملياء المشتركة بين مختلف الأسلحة كعمليات الانزال مثلاً.

ومن المؤكد ان بعض العمليات تجري دائماً مستقلة تماماً عن اطار قوة ما (برية او بحرية أو جوية) كعمليات القصف الاستراتيجي، الذي يقوم به الطيران أو الصواريخ أو الغواصات النووية قاذفة الصواريخ، أو كعمليات حماية الاسطول البحري، ومع ذلك فإن هذه العمليات المستقلة تدخل دائماً في إطار الاستراتيجية العامة للحرب.

والخلاصة واعتماداً على ما رأيناه سابقاً، فإن الاستراتيجية الحديثة يجب أن تبنى على المبادئ التالية:

٦ - La logistique، لقد عمدنا إلى ترجمة هذه الكلمة الجديدة باصطلاح الشؤون الادارية لصعوبة التعبير عنها بكلمة واحدة ولا ندري إذا كان المعجم العسكري قد وجد لها الكلمة الملائمة.

١ - ان ادارة الحرب في المستوى الأعلى هي من مهمة الحكومة بالتشاور مع كبار القادة العسكريين (ويمكن ان نسميهم بالستراتيجيين)

٢ - الاستراتيجية العامة هي استراتيجية الاسلحة المشتركة (برية وبحرية وجوية) وان تعقيدها وضخامة الوسائل المتوفرة حالياً، والترتيبات الضرورية المتنوعة التي لابد من اتخاذها منذ أيام السلم بما في ذلك الحرب النفسية، كل ذلك يستوجب وضع الخطط مسبقاً وبأقصى ما يمكن من الدقة بشكل يضمن عدم تبديلها بسهولة أو الاضطراب لتعديلها في اللحظات الأخيرة. ومن هنا تظهر القيمة الكبرى للأشياء والعوامل التي تبني عليها الاستراتيجية ومن بينها العوامل الجغرافية السياسية المتنوعة التي تحتفظ بالمكانة التي كانت لها على الدوام.

٣ - الأهداف السياسية: لم تعد هذه الأهداف مقتصرة على الأهداف العسكرية فقط، بل تجاوزتها لتشمل كل ما يساعد بلد ما على الاستمرار بالنضال. وتلعب العوامل الجغرافية السياسية الدور الهام في اختيار هذه الأهداف وتصنيفها واعطائها الأسبقيات المناسبة.

٤ - حالة «الحرب الباردة» تقضي هذه الحالة - التي عاشها العالم لفترة طويلة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة - بأن تتطور الاستراتيجية العامة باستمرار حسب الظروف الجغرافية السياسية وان تحافظ على فعاليتها دائماً في حالة الحرب الساخنة، وان تبذل كل ما يمكن من المجهود للتنبؤ بهذه الحرب. وهذا هو دور «الاستراتيجية في أيام السلم» التي تمارس تأثيرها عن طريق التهديد بقوة السلاح وبالوسائل غير المباشرة.

٥ - ان ادارة العمليات نفسها تكشف عن مفاهيم استراتيجية جزئية - خاصة بمسرح هذه العمليات ولكنها تتشابه مع الاستراتيجية العامة. هذه المفاهيم قد لا تهم سوى الجيش والقيادة التي تعمل في هذا المسرح، والمثال على ذلك هي العمليات الجوية - البحرية التي تجري فوق مسرح عمليات بحري.

٦ - ان قيادة القوات هي من اختصاص القيادة العسكرية حصراً في المجال التكتيكي وتكون هذه القيادة «برية» أو «جوية»، أو «بحرية» حسب الوضع

القائم، كما يمكن أن تكون القوات مختلطة أحياناً: جوية - برية (أو منقولة جواً) وجوية بحرية أو برمائية.

٧ - وهذه المبادئ التي اتينا على ذكرها تصلح للأحلاف كما هي صالحة في الإطار الوطني، وبذلك تأخذ التشكيلات في القوات المتحالفة اشكالاً متداخلة أو متكاملة إلى حد كبير.

٨ - ومهما تكن «ابعاد النزاع»، لا بد للستراتيجية من ان توضع دائماً في إطار اوسع جداً يتجاوز المنطقة المعنية مباشرة بهذا النزاع، لأن مضاعفاتها تميل دائماً للإتساع - والواقع الراهن يستوجب النظر للأهداف في إطار «ستراتيجية كونية»^(٣)، كان ذلك بالنسبة لإدارة هذا النزاع، أم من اجل اخذ مضاعفاته ونتائجه بكل ابعادها بعين الاعتبار. والجغرافيا السياسية والجغرافيا الاستراتيجية مؤهلتان لتحمل هذه المهمة بكفاءة عالية على جميع المستويات.

٧ - الاستراتيجية الكونية هي الاستراتيجية التي تشمل كل انحاء العالم.

الفصل الخامس

محاولة لدراسة الاستراتيجية

«ان كون الأرض كروية يعني انها لم تكن
مدروسة بها فيه الكفاية من وجهة النظر
العسكرية»

● الجنرال شاسان

١ - تداخلات الجغرافيا - السياسية

لا يمكن أن يكون الهدف النهائي للاستراتيجية ، من وجهة النظر العسكرية وحدها ، إلا تدمير قوات العدو . وقد تأكدت صحة ذلك عندما لم تكن الحرب تجري إلا بواسطة الجيوش وتبقى صحيحة إذا كان الغرض فرض الاستسلام على على العدو بدون قيد او شرط .

ومع ذلك فإن المانيا في عام ١٩١٨ ، وإيطاليا في عام ١٩٤٣ ، واليابان خاصة في عام ١٩٤٥ ، قبلت كلها الغاء اسلحتها واستسلمت دون قيد او شرط قبل ان تدمر قواتها المسلحة تدميراً كاملاً . وما هذا إلا لأن في عالم اليوم شروطاً سياسية واقتصادية ضرورية جداً لمتابعة الحرب . وانه في حالة تمكن طرف ما من المحافظة عليها يصبح مضطراً للإعتراف بالهزيمة .

وان العوامل الجغرافية السياسية الهامة تحدد معظم هذه الشروط وسنأتي على ذكرها فيما بعد .

وعلى الاستراتيجية اذن الا تكتفي بإدارة المعركة العسكرية الصرفة بل تسعى جهدها لبلوغ اهدافها الجغرافية السياسية لدى العدو، وان تؤمن حماية هذه الأهداف لدى الأصدقاء . ولهذا تحتفظ الاستراتيجية بمكان يزداد أهمية يوماً بعد يوم ويجب ان يكيف باستمرار حسب الظروف العامة الجديدة .

وهذا التطور الدائم الذي يتم تبعاً للظروف، يجب أن يجري أيضاً في المرحلة التي اطلقنا عليها اسم «استراتيجية ايام السلم»، والتي تجدد في كل لحظة استراتيجية الحرب . وتؤثر تأثيراً فعالاً على مواقف العدو المحتمل .

وان «الانتشار» المعروف و«الجاهزية» الدائمة للقوى الجوية (القاذفات البعيدة المدى او القاذفات الاستراتيجية على الأخص) مثلاً هو بلا شك موضوع يستحق التفكير الحذر، ولكنه يجب ان يكون معروفاً (من العدو) لكي يعطي ثماره، وهذا يحد ذاته امر غريب في الزمن الحاضر . ولهذا فإن «استراتيجية امن السلم» تكون اكثر فعالية بمقدار ما تكون أقل سرية بمفهومها العام، أما الكتان فلا يكون إلا بأساليب وطرق التنفيذ، وقد يكون على العكس مطلقاً وشاملاً في أغلب الأحيان . وهذا صحيح أيضاً بالنسبة لتدابير «الردع» في الاستراتيجية الحالية، فالصواريخ النووية العابرة للقارات، تكون دائماً جاهزة للإطلاق من قواعد متحركة فوق سطح الأرض أو من الغواصات تحت سطح البحر .

وتتأثر الاستراتيجية بهذه العوامل المتغيرة للجغرافيا السياسية التي تعطي كما قلنا - للعالم صفاته الحالية . وفي طليعة هذه العوامل «المجتمعات الدولية» التي تسبب النزاعات . وحتى في الحروب الإقليمية المحدودة، التي تبدو للوهلة الأولى أنها تجري بين دولتين، نجد ان هناك امماً أخرى حليفة أو صديقة أو متعاطفة تتدخل مباشرة أو بشكل غير مباشر، بالنزاع وتفرض على الطرفين القوة والضعف المعروفين عن الاحلاف .

وترجع أهمية الايديولوجية التي تشكل الملائم لبعض التجمعات، إلى أنها

تؤدي لنشوب حرب نفسانية (بسيكولوجية) نشيطة إلى جانب العمليات الحربية وبالارتباط معها . والستراتيجية في مثل هذه الحالة ستكون مضطرة للتوفيق بين العمليات الحربية من جهة وبين «عمليات التخزين المعنوي» التي تتكفل بها الدعاية بين صفوف العدو، وبذلك تكون قد توخت هدفاً آخر غير «التدمير الكلاسيكي» لقوات العدو المسلحة . وهذا النوع من الأسافين الخطرة تنغرس بعمق أكثر في الشروخ المعنوية التي تم الاعداد لها بعناية وذكاء لكي تأتي منسجمة مع الشروط الجغرافية الاستراتيجية الطبيعية^(١) . ونؤكد على سبيل المثال لا الحصر، أنه لم يكن من السهل فصل إيطاليا عن ألمانيا عام ١٩٤٣ لولم تكن تفصلها بشكل طبيعي جبال الألب مما يزيد في صعوبة التدخل الألماني ووجه رقابة الرايخ الثالث على إيطاليا .

ومن ناحية أخرى فإن العمليات التي توضع خططها بغرض تدمير معنويات شعب ما تتطلب «تعبيراً» شديداً، مبنياً على المعرفة الصحيحة للحالة العقلية والنفسية للسكان، لأن الخطأ في هذا المجال يؤدي إلى ردود فعل معاكسة تماماً للأهداف المرغوبة، كما برهنت على ذلك عمليات القصف الشديد للمدن في أغلب الأحيان، بل قد تؤدي مثل هذه الأخطاء إلى استحالة إقامة السلام في المستقبل على أسس سليمة وتعرضه إلى الخطر الدائم .

وقد يكون من المفيد العودة مرة أخرى للتذكير بأن الأهداف الرئيسية للعمليات الحربية هي هي قبل كل شيء : المنشآت الاقتصادية الهامة، والمراكز الصناعية والانتاج الحربي . وإذا وصل سوء حظ الإنسانية إلى حد نشوب حرب

١ - تركز الحرب النفسية على التناقضات التاريخية والعرقية والطائفية، والفوارق المتنوعة مهما كانت ضئيلة لكي تحدث التصدع في صفوف الخصم وتقضي على تماسكه وحدته الوطنية وتمهد بذلك للهزيمة السياسية التي تعتبر اخطر وأبعد أثراً من الهزيمة العسكرية لما يترتب عليها من مضاعفات بعد الحرب . وقد ازدادت هذه الحرب خطورة بسبب التطور الهائل لوسائل اعلام الجماهير، والتقدم في ميدان العلوم الانسانية وخاصة منها علم النفس وعلم الاجتماع .

(المغرب)

جراثومية (أو كيميائية) في المستقبل، فستكون الزراعة نفسها من بين أهدافها المفضلة، ومن المناسب أيضاً أن نذكر بالأهمية الحيوية لـ «مراكز القوة» التي يفضل احتلالها بدلاً من تدميرها إذا كان هناك أمل بالاستفادة منها أو ضمها نهائياً فيما بعد^(١). وقد رأينا كيف أن السياسة «تلجم» الاستراتيجية أحياناً للوصول إلى مثل هذه الأهداف، على الرغم مما يبدو من فائدة مباشرة تترتب على التدمير.

وأخيراً فإن النقل واجهزة الاقتصاد الحساسة، وضخامة الشؤون الإدارية للجيش الحديثة، يشكل عاملاً جوهرياً للاستراتيجية. فقط خطوط المواصلات يؤدي إلى شل العدو في عملياته العسكرية وقطع التموين عن قواته وعزل المصادر الاقتصادية المكملة الواحدة تلو الأخرى، وإن اختيار النقطة الملائمة للهجوم لكي يحدث مثل هذا «القطع» ذو صلة مباشرة بالنقاط الحساسة التي تكشف عنها الجغرافيا السياسية: ويمكن أن يكون لها صفة طبيعية كالمضايق والبراخ والممرات الجارية، أو صفة اقتصادية كالمحطات والمرافئ... الخ..

٢ - يجب أن نعترف أن العمليات العسكرية الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن، تجري كلها في إطار استراتيجية عامة (سياسية - عسكرية) ذكية وتشكل دائماً جزءاً من كل متهاسك ومتناهم. فاحتلال مرتفع معين أو الوقوف عند عقدة طرق، أو منيع مياه أو منجم أو بئر بترو، أو مدينة أو بقعة صالحة للزراعة، كل ذلك مبني على دراسة عميقة وذكية لطبيعة الأرض وإمكاناتها وللعوامل الجغرافية السياسية والاستراتيجية. وإن استعراضاً سريعاً للمراحل التي مرت بها الحرب التي أدت إلى قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، ثم حرب السويس عام ١٩٥٦، وحرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، وحتى حرب تشرين أول ١٩٧٣ يكفي لإعطاء الدلائل الملموسة على أن القوات الإسرائيلية كانت تخوض معاركها لتحقيق أهداف معينة مدروسة ومصنفة بذكاء وتمهد لها بحرب نفسية ذكية جداً تستند إلى معرفة صحيحة لعقلية الإنسان العربي وعواطفه وللتناقضات الداخلية في كل قطر من أقطاره، وكذلك التناقضات بين هذه الأقطار، وكل ذلك في إطار عام يأخذ بعين الاعتبار الوضع الإقليمي والأوضاع الدولية ويتحين حروبها وكأنها موقعة ومتلازمة مع الجو الدولي والوضع العربي، متحقق منظم أهدافها إذا لم تقل كلها. (المغرب)

٢ - الدور الجديد للجغرافيا - الطبيعية

للعوامل الطبيعية الثابتة للجغرافيا السياسية أهمية بالغة جداً تستحق الدراسة بشكل خاص من ناحية ادوارها في الجغرافيا الاستراتيجية .
وبإسذه العوامل دور اساسي في الاستراتيجية حتى وان لم تكن الأكثر أهمية ، فمن المفيد مثلاً أن نبين كيف تحاول الاستراتيجية التوفيق بين استخدام الأسلحة والوسائل الجديدة وبين شروط العوامل الطبيعية الدائمة . ونذكر في هذا المجال الفائدة الكبرى من زيادة الفراغ في «البعد الثالث» ، بسبب تطور الطائرة واسلحة الغواصات ، وارتباط ذلك بالشروط الطبيعية . فاستخدام الغواصات يتوقف على البحار لأنها تحتاج الى عمق معين لكي تغطى بأمان كما لا يمكن استخدام الألغام البحرية إلا على اعماق محددة ومن ناحية أخرى فإن الغواصة والألغام البحرية لا يستخدمان إلا في مناطق بحرية غزيرة الملاحة ، وهذا يعني مناطق المضائق ومداخل المرافئ .

اما القوى الجوية فتبقى رغم كل تقدمها مرتبطة بمنشآتها وقواعدها الأرضية ، وتموينها ، وهذا كله يرتبط بالشروط الطبيعية أي بالموقع والتضاريس ، كما تتوقف فعاليتها في الارتفاعات المنخفضة والمتوسطة بشكل دائم على بنية البلاد الطبيعية ومناخها ؛ وهي لا تتحرر من هذا العامل إلا في الارتفاعات العالية .

وهكذا نعر على قيمة جديدة لمواقع الطرفين المتخاصمين وبشكل خاص أولئك الذين كانت تفصل بينهم حواجز لم يكن بالامكان تجاوزها في الماضي واصبحت لا وجود لها بسبب الطيران .

ويمكن القول على هذا الأساس أن الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي اصبحا اليوم - بفضل قواتهما الجوية - يقفان وجهاً لوجه على الرغم من وجود القطب المتجمد الشمالي الذي كان يشكل في الماضي حاجزاً يستحيل تحطيه .

وهذا التوسع في ميدان «البعد الثالث» (او غزو الفضاء) يصبح رئيسياً

عندما يُنظر اليه من منطقة قليلة الاتساع، ومع ذلك فإنه لا يبدو إطلاقاً من الطابع العام لجغرافية العالم الاستراتيجية.

والواقع أن الطبقة الهوائية القابلة للاستخدام لا تشكل إلا قشرة رقيقة فوق سطح الأرض، وبإستثناء الطيران الذي يعمل على الارتفاعات العالية جداً، فإن المناطق تحتفظ بمميزاتها بالنسبة للعمليات الجوية - بحرية، والجوية ارضية، لأن الطيران يعاني من التضاريس والمناخ تماماً كما يعاني المقاتل العادي على الأرض وهو يعمل فوق البحار كما يعمل البحار في المراكب الشديدة السرعة. ولكن الاساليب والتكتيك تختلف من سلاح لآخر، عند تكييفها للآلة.

وتمتاز الوسائل الحديثة بمكننة العتاد خاصة، مما يضعف امكانيات الأسلحة ليس في القتال فحسب، بل وفي جميع الأعمال اللازمة لحملة عسكرية ما: فالطرق والخطوط الحديدية الخ، يمكن اصلاحها بسرعة كما يمكن الالتفاف بسهولة حول الحواجز الطبيعية او اجتيازها او سترها.

ولكن العوامل الطبيعية يجب حسابها دائماً، لأن المشاكل الناتجة عنها لا تزال تطرح على الأطراف المتنازعة كما ان التسهيلات التي توفرها تحتفظ بهجنتها. وفيما عدا ذلك فإن الوسائل تتطلب تنظيمياً دقيقاً يؤمن الاعباء التقنية المتعددة، والتموين والتكديس بكل أنواعه، ويمكن القول ان «الشئون الادارية» للجيش تؤثر مباشرة بالعوامل الطبيعية مثل سهولة اقامة المستودعات والنقل والدفاع، الخ. ويسري هذا المبدأ على الجيوش الحديثة جداً. فالتضاريس الكثيرة التعاريج مثلاً تجعل الأسلحة النووية أقل فعالية مما هي عليه في السهول الواسعة؛ ويلعب المناخ دوراً جديداً لأن الهواء يسوق الغيوم والغبار الذري المشع، كما يمكن ان يحمل الجراثيم والمواد الكيماوية الضارة. ولهذا لا بد من التفكير بأهمية المواقع المعروفة بتياراتها الهوائية المنتظمة وضبابها والمناطق المشهورة بالعواصف غربي المحيط الأطلسي.

ان الدفاع ضد الطيران الذي تزايد سرعة يجب أن يستتفر في الوقت اللازم، وهذا يتطلب شبكة للرصد البعيد جداً (أي شبكة رادار). وهذه المسافات

تتوقف على ارتفاع جهاز الرصد واماكن تمر كزه باتجاه العدو. وفي هذا المجال تلعب التضاريس دورها. ويزداد هذا الدور أهمية على الخطوط الأمامية: مثال ذلك ان الرصيد من الأراضي السكندنافية يغطي الجزر البريطانية ضد الهجوم الجوي القادم من الشرق، وعلى العكس فإن حيا د يوغوسلافيا يجعل الأراضي الإيطالية مكشوفة، بينما تشكل الأراضي الإيطالية غطاءً فعالاً للجزء الغربي من البحر المتوسط غالباً ما يحاط بالكتان.

ومن هنا ايضاً نلاحظ احدى النتائج المترتبة على حيا د بعض الدول المحيطة والميزات التي تتمتع بها مواقع «الجزر» بشكل خاص. فما هي انعكاسات هذه الوقائع على الاستراتيجية أو بمعنى آخر ما هي النتائج التي يمكن ان نستخلصها الاستراتيجية منها؟

الحقيقة أنه لم يعد هناك مبرر للهجوم على «جبهة» أو على «منطقة قتال» غير محدودة، ما دام الطرفان المتحاربان يملكان التنوع بالأسلحة والوسائل مما يساعد على توجيه الضربة إلى أية نقطة من أراضي الطرفين، هذا بالإضافة إلى أن قوة الأسلحة الحديثة تستوجب «الانتشار» باعتباره التشكيلة الفعالة الوحيدة للقوات. وهذا لا يعني انتشار القوات المسلحة فقط وإنما انتشار وسائل تمويها وانشار الصناعة والسكان في الحدود الممكنة.

وان الهدف السراتيجي الملائم للقنبلة النووية سيكون أغلب الأحيان بعيداً ويشتمل على الموانئ والمطارات والمجموعات الصناعية والمدن الخ. وبما لا شك فيه ان صدمة القوات البرية الرئيسية ستزيد من شدة المعركة في منطقة محددة، إلا أن الانتشار والحركة سيكون لهما دورهما وذلك بموجب الاعمال وتسهيل الاستفادة من الأرض إلى أقصى حد.

أما في ميدان القتال، فلن يكون على الاستراتيجية أن تنقل كتلاً كبيرة على المحاور أو الطرق العرضانية، بل سيكون تحت تصرفها عناصر (وحدات) ذات قابلية عالية للمناورة، مهمتها القيام «بعمليات مائعة» تتخللها معارك قصيرة شديدة العنف، يصعب الاشراف المباشر عليها. كما سيكون من الضروري

الاعتماد على «لامركزية القيادة» وتبني استراتيجية اقليمية اوحتى محلية متلائمة تماماً مع المنطقة المعنية التي يجري فيها القتال.

وسيكون هدف الاستراتيجية العظمى ، خلق الأوضاع التي تتلاءم مع العوامل الجغرافية الاستراتيجية المحلية ، والمناورة من أجل الالتقاء فيها مع العدو والاشتباك معه .

ومن الجدير بالذكر ان «حالة النزاع المحلي» تتطابق الأوضاع التي أتينا على وصفها وان شكل «حرب العصابات» الذي هو احد صفاتها الأكثر وضوحاً ، يؤدي إلى امكانية تواجد العدو في كل مكان ، كما يؤدي إلى فقدان الأمن تماماً ، ويخلق مناطق حربية متناثرة كبقع الزيت ، وباستطاعته استغلال جميع الميزات الطبيعية للبلاد .

أما «الحرب الشاملة» فتجري في الإطار العالمي ، ويجب التفكير فيها على هذا المستوى ، بالنسبة للقتال نفسه ، وللوسائل والأسلحة والأبعاد الطبيعية ، كما يجب ان تضاعف جميع العناصر بالمقارنة مع شروط الحروب السابقة .

ولهذا يجب الان تصور الاستراتيجية العليا على الخريطة المفصلة لبلد معين ، بل على «خريطة العالم» ، وان نستوحي من الجغرافيا - الاستراتيجية استنباط خطوط القوة والكتل الكبرى لوضعها على اللوحة الاجمالية ، على ألا يركز الاهتمام على الأنهار الصغيرة أو الأقنية الثانوية بل على الأنهار العظمى والممرات الدولية الرئيسية . اما هدف الاستراتيجية العليا فلن يكون منطقة معينة بل «بلداً بكامله» وقد يكون «قارة بكاملها» ، وفي مثل هذا الوضع لا تعتبر الجزر الصغيرة (التي بحجم جزيرة مالطا مثلاً) وانما الجزر الكبرى كالجيزة البريطانية أو كم منطقة افريقيا الشمالية .

وكما سبق وقلنا بأنه لن يكون هناك «مؤخرة» ولن يكون العمق الضروري للعمليات في حدود عشرات الكيلومترات بل بحدود مئات الكيلومترات ، وان «البعد» الذي يسمح بتنظيم الشؤون الادارية والفنية واجراء المناورة بالاحتياط

سيكون اكثر اتساعاً للدرجة قد يتجاوز معها احياناً مساحة بعض الدول الأوروبية الكبرى (فرنسا، أو المانيا وانكلترا).

هذا وقد ازدادت مسافات نظام المواصلات بشكل يرتب على النقل جهوداً إضافية ويحتاج إلى تنظيم شبكات اتصال متعددة ومعدة، علماً بأن النقل والاتصالات الضرورية أيام السلم تخضع أيضاً لنفس الشروط الجغرافية - السياسية لكل حلف.

ولهذا سيكون من المستحيل تنفيذ استراتيجية واسعة دون تحضير دقيق يتناول بشكل خاص جهازين اساسيين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالشروط الجغرافية، أما الجهاز الأول: فهو «تنظيم القيادة» الذي يعتبر نوعاً من «التحديد» للطرف الجغرافي - السياسي. وتنقسم القيادة في «تمفصلها» وفقاً لمسارح العمليات المحتملة التي تحددها - كما قلنا آنفاً - المناطق الجغرافية وتعطيها اسمها. وفي مجال الترتيب التسلسلي للقيادة تؤخذ المصالح المختلفة للبلدان الواقعة في مسرح العمليات، ومساهماتها العسكرية (أي قوة كل منها الذاتية) بعين الاعتبار.

والجهاز الثاني: فيتعلق «بالقواعد» وهي العناصر الأساسية للسياسة العسكرية المتهاكمة. و«القواعد العسكرية» الأرضية والجوية والبحرية يجب أن تكون بعيدة عن العدو المحتمل بقدر الامكان، كما يجب ان تكون قريبة منه بقدر الامكان إذا كانت مهمتها دعم العمليات الحربية الهجومية، وأن توفر للقوات المحاربة تسهيلات ادارية وفنية واقتصادية، وامكانيات دفاعية، وكل ذلك مرتبط ايضاً بالعوامل الجغرافية السياسية.

ومن هنا تكون الاستراتيجية العليا كونية، اما مسرح العمليات نفسه فيجب أن يوضع في هذا الاطار الكوني، بسبب الارتباطات المتعددة للعالم الراهن.

ومن المفيد اذن استعمال وسائل الايضاح البيانية التي تعطي فكرة صحيحة و«ناطقية» عن المناطق المعنية مهما كانت ضخامتها وموقعها من الكرة الأرضية. ولهذا فإن الخرائط قد تشوه الواقع عندما تغطي مناطق واسعة جداً، ولكنها تقترب من هذا الواقع بمقدار ما يكون «اسلوب العرض» الذي بنيت على اساسه سليماً

وملائماً للغرض المطلوب. لذلك لا بد من اختيار «اسلوب العرض»^(٣) الملائم للعامل الذي يلعب الدور الرئيسي في المشكلة المقصودة: كالتضاريس، والمواقع، والمسافات التي ترتبط بطبيعة الحال بنوع وحجم العمليات (الأرضية والجوية التكتيكية، أو الجوية الاستراتيجية، أو الصواريخ، والعمليات البحرية السطحية، أو عمليات الغواصات. الخ)^(٤).

أما استخدام «البعد الثالث» في الفضاء وتحت الماء فيحتاج أيضاً إلى إيضاحات (رموز) تدل على عناصر خاصة به وغير مشتركة مثل: التيارات الهوائية الشديدة جداً الموجودة في الفضاء الخارجي على ارتفاعات عالية، أو التيارات والمغناطيسية والأقنية الصوتية الموجودة تحت سطح البحار وكذلك حرارة المياه الخ. . ونحن لا نستطيع هنا الإشارة بالتفصيل إلى أهمية هذه النقاط وضرورتها لذلك موضوع بحث فني خاص.

٣ - استمرار المبارزة بين المحيطات واليابسة

يمكن اكتشاف صفات مشتركة لبعض الاحداث التاريخية الكبرى لازمتها عبر العصور. فالحروب الكبرى، والصراعات الطويلة التي تدوم عشرات السنين أحياناً فتشتمل على عدة حروب وتهدف إلى إيجاد «توازن دولي» معين، تكاد تكون كلها بين قوتين أحدهما بحرية والأخرى قارية (أمم أو أحلاف) وتسعى القوة البحرية دائماً للحصول على حلفاء قارين.

وقد كان لتوزيع الأراضي والبحار والواقع الخاصة بكل منها، عوامل استراتيجية أساسية، ولا تزال هذه العوامل تلعب هذا الدور مع تغيير في

٣ - Systeme de Projection

٤ - يمكن المقارنة على الخريطتين المنشورتين في الصفحتين ٩٤ - و ٩٥ - بين الأبعاد النسبية للبلاد السكندنافية، ولمنطقة شمال غرب أفريقيا، وكذلك أبعاد الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي.

المستويات. فنحن نرى اليوم تحالفات متعارضة شملت مناطق بكاملها بدلاً من المواقع المحصنة (القلاع) القديمة: فدولة تركيا هي التي تشرف الآن على مضائق الدردنيل والبوسفور وليس «بيزنطة»^(*) وحدها كما كان الأمر في الماضي البعيد.

وسيقصر بحثنا هنا على «البنى» المبدئية، مشيرين إلى صفتين بارزتين من هذا التناقض الأساسي، الذي سيبقى حقيقياً. عندما نلاحظ أن «السيادة البحرية» انتقلت من انكلترا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كما انتقلت «القوة القارية» من ألمانيا إلى الاتحاد السوفياتي. كما يمكن القول أن الطموحات الأساسية لا تزال على حالها. فالقوة البحرية تحتاج إلى موطئ قدم على القارة على شكل بلدان ساحلية حليفة، بمثابة درجات بحرية أرضية، وتسعى القوة القارية للحصول على ممرات نحو المحيطات وتبذل أقصى الجهود لتصبح قوة بحرية.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الحالات النفسية والعقلية المختلفة تتوالد من الاجواء المتجابهة التي اشرفنا اليها في الجغرافيا - السياسية، وهي توجه الدولة القارية نحو المركزية العسكرية، واستخدام القوة الكثيفة، بينما تدفع القوة البحرية لجمع الجهود التي تبدو مبعثرة ومستقلة بوسائل متعددة.

ففي «استراتيجية المراحل المتتالية» يسعى الخيال الخصب لتعويض نقاط الضعف الأولية، أما في «الاستراتيجية الموحدة» فتستهدف القرار السريع، وياعتبارها «التابع المخلص لكلوزويتز» فإنها تعتمد على التدخل قبل «نقطة الحد» التي سبق وتنبأت بها.

وهكذا يلاحظ أن الحروب الكبرى تجري بشكل متشابه تقريباً، حيث تكون «القوى القارية» دائماً مهاجمة وتحصل على نجاحات أولية كبيرة ينجح إليها في لحظة ما انها ربحت الحرب، ولكنها لا تلبث ان تخسرهما في النهاية. وفي كل الأحوال يجب ان نحفظ من اعتبار هذه المبادئ قوانين ثابتة.

* - ويعني هنا مدينة بيزنطة واستانبول التي كانت تعتبر موقعاً محصناً يشرف على المضائق.

فالمبارزة بين القارة والمحيط في حرب ما، تفترض استمرار هذه الحرب فترة من الزمن. وبما لا شك فيه أن الحرب النووية الشاملة لا يمكن أن تستمر إلا لبضعة أيام ومع ذلك فسيكون الدمار الذي ستحدثه رهيباً، غير أنه لا يمكن أن نستبعد تحولها بعد ذلك لتأخذ شكل الحرب الكلاسيكية، حتى مع استخدام الأسلحة النووية التكتيكية. أوفي حالة «النجاة» وملاساته من أجل فرض ارادة الطرف المنتصر على بقية اجزاء العالم التي كانت خارج الصراع.

ومهما يكن الأمر فإن العالم الحديث سيصبح بحرياً يوماً بعد يوم أو محيطياً (نسبة للمحيطات) على الرغم من تطور الوسائل البرية والجوية، لأن هذا العالم يعيش على المبادلات القائمة على المواصلات والنقل.

والقوة البحرية لا تقوم على الاساطيل الحربية فقط بل تحتاج للأساطيل التجارية لأن هذه لا بد منها لبسط النفوذ على المستوى الكوني. ويكفي للدلالة على ذلك ما نراه من الجهود الجبارة التي تبذلها الدول الكبرى لتوسيع اساطيلها، فالولايات المتحدة الأميركية أصبحت القوة البحرية الأولى في العالم وتسعى لكي تحتفظ بهذا المركز، ويليهما في هذا الميدان الاتحاد السوفياتي الذي يطور اساطيله البحرية التجارية والحربية بسرعة مذهلة.

وفي السنوات الأخيرة بدأت الصين تتجه جدياً نحو البحار وتحدها القناعة التامة بأنه لا بد من السيطرة البحرية على المحيط الهادي من أجل السيطرة على نصف العالم الشرقي.

أما بالنسبة لبقية بلدان العالم فإنها بطبيعة قوة الأشياء ان لم تضطرها القوة للخضوع وقبول التبعية، فإنها مجبرة على اختيار شكل من أشكال القوة: وبما لا شك فيه حتى بالنسبة لدولة قارية كالمانيا لا بد لها من منفذ إلى البحار لكي تحتفظ باستقلالها ومكانتها في العالم.

٤ - التقنية، والحجم، والردع

تتحكم «التقنية» في الحياة الحديثة، وتحدد مستقبلها في جميع الميادين

الاقتصادية والسياسية والعسكرية. . ويتم ذلك في جميع المستويات بدءاً من المؤسسات أو الشركات الصغيرة وانتهاء بالأمم.

فنحن اليوم في عصر الالكترونيات والحاسبات او العقول الالكترونية، وعصر الذرة والسفن الفضائية. لم يعد التقدم متوقف على الاكتشافات العلمية بالمعنى التقليدي للكلمة، فحسب، بل بالاستخدام المستمر للتكنولوجيا المتقدمة؛ واصبح من الضروري انشاء مجموعات تضم عدداً من الأدمغة تعمل مشتركة في اطار منظمات أو مراكز ابحاث ضخمة للوصول بالبحوث إلى نتائج ملموسة وتحقيق منجزات قابلة للحياة والاستخدام.

وادت هذه الضرورات إلى ظهور مفهوم «الحجم» (Dumension) او «الحد الأدنى» من الوسائل الفكرية والمالية والمادية والتي لا يمكن بدونها المحافظة على وتيرة معينة للتقدم أو النضال على الصعيد العالمي. ومن الطبيعي أن يكون «الحجم» من خصائص البلدان العظمى، والاتحادات الفعالة للدول الصناعية المتوسطة كالبلدان الأوربية؛ وأن الاستقلال الحقيقي اصبح متوقفاً على امتلاك هذا «الحد الأدنى» من الوسائل.

ومفهوم «الحجم» أو الكتلة يفرض نفسه على الاستراتيجية الحالية بنفس القوة أيضاً. ولقد سبق أن ذكرنا بأن «الكتلة» يعطي «البعد» الذي يسمح بالانتشار والنجاة، ويوفر الامكانيات للحركة. وهو وحده في مستوى الاسلحة الحديثة وامديتها وقوتها وكذلك مجموع الوسائل الضرورية في حرب حديثة هامة^(٦).

٦ - يتضح من استراتيجية اسرائيل العدوانية التوسعية التي ظهرت منذ حرب السويس، وحرب الأيام الستة والعدوان على جنوب لبنان، ومن نوع الاسلحة الحديثة التي تمتلكها، والايديولوجية التي تهتمدي بها، بأن تسعى للحصول على نوع من «الحد الأدنى». وهي تتأطل بكل الوسائل لتخفي هذا الهدف الذي ينطبق تماماً على «نظرية المجال الحيوي» الذي نادى به النازية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا.

وهكذا فإن «الحجم الجغرافي» ينضم «للحجم التكنولوجي» ليزيد تدريجياً من خطورة الفوارق بين قوة البلدان ويضعف من سيطرة البلد الأكثر قوة. وفي ميدان الاستراتيجية الكونية، أصبحت ضرورات الدفاع تستدعي إقامة التحالف بين «الدول المتوسطة» التي تجابه مثل هذه الضرورات، لأن العوامل الجغرافية الاستراتيجية تفرض قيام المجموعات المتناسكة (المواقع الخاصة بكل من الأعضاء والاتصال الممكن بينها)؛ ومن ناحية أخرى فإن الروابط المتينة بين جميع ميادين النشاط، والتعاطف الأيديولوجي تؤدي مجتمعة إلى قيام مجموعات دولية تكون بنفس الوقت تحالف عسكري واتحادات سياسية واقتصادية قابلة للعمل الفعلي في أوقات السلم كما في أوقات الحرب. وإن الوضع الدولي الراهن يضطر المجموعات القائمة في كل من «الكتلتين» الغربية والسوفياتية للخضوع لزعامة الدولة الأقوى بينها، كما هو الوضع بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية في حلف الأطلسي، وللاتحاد السوفياتي في حلف وارسو، وتسري هذه القاعدة أيضاً على بقية التحالف مثل الحلف المركزي وحلف جنوب شرقي آسيا، الخ.

وتسعى الصين جهدها في السنوات الأخيرة لتقييم حولها تنظيمياً دفاعياً شبيهاً بحلف الأطلسي وحلف وارسو لأنها أصبحت من حيث «الكتل» العملاق العالمي الثالث. غير أن تخلفها الأولي اقتصادياً وتكنولوجياً وعسكرياً ساعد على تعرضها لبعض محاولات وتدابير «الاحتواء» التي وصلت أحياناً إلى درجة الصدام المسلح تارة مع الولايات المتحدة الأميركية^(٣)، وتارة أخرى مع الاتحاد السوفياتي^(٤) والواقع أن الصين لم تمتلك «الحجم» الاقتصادي الضخم والتكنولوجي المناسبين

٧ - كان الصدام بين أمريكا والصين مباشرة على أرض الصين من خلال دعم أمريكا لشان كاي شيك، ثم في حرب كوريا، وحرب فيتنام. (المغرب)

٨ - كان ذلك أثناء اشتباكات الحدود، ومن خلال دعم الاتحاد السوفياتي للهند أثناء خرق الصين لحدودها، ونراه اليوم من خلال الاشتباكات بين فيتنام الديمقراطية وجمهورية كمبوديا التي تساندها الصين. (المغرب)

لكتلتها الطبيعية والبشرية الهائلة، غير ان الامكانيات والمقاومات التي تحتزنها هذه الكتلة تعزز قوتها النووية التي تعمل على انجازها لتجعل من كل ذلك خطراً حقيقياً تخشاه الكتلتين المعروفتين.

ويمكن الاعتقاد ان امتلاك الدول المتوسطة للقوة النووية يضعف من فضائل «الكتلة» لدى الدول الكبرى. فمن الواضح جداً في المجال الاقتصادي على الأقل ان الدول المتوسط المتطورة استطاعت المحافظة على قوتها الخاصة فهل يمكنها ذلك في المجال العسكري؟. صحيح ان الاسلحة النووية الاستراتيجية تفر لصاحبها «سلطة ردع» لا بد لأي خصم مهما كانت قوته ان يحسب حسابها، غير ان «الردع» نفسه يبقى نسبياً، لأن التخريب الضئيل الذي يحدثه الهجوم النووي على «بلد عملاق» لا يقضي على امكانيات «الردع». اما البلدان المتوسطة والصغيرة فتكفي «رشقة نووية» واحدة لتدميرها والقضاء على امكانياتها.

ومع تقييدنا بعدم اعطاء حكم قطعي بقيمة اسلحة الردع النووية الاستراتيجية، إلا أن ذلك لا يتعارض مع ابداء بعض الملاحظات في هذا الموضوع.

فقبل كل شيء يجب الانعتقاد بأن حيازة هذا السلاح اصبحت امراً نهائياً، وكذلك الأمر بالنسبة لمستلزماتها العسكرية الضرورية ووسائل الحماية الملائمة لها، ذلك أن هذه الأشياء كغيرها تخضع لقانون التقدم التكنولوجي العنيد. وان كل ما يبدو الآن فعالاً ليس من الضروري ان يبقى كذلك في الغد. وعليه فإن الجهود التقنية والصناعية المستمرة هي في النهاية اعظم أهمية واكثر كلفة من «القنابل النووية» نفسها لأنها تحدد قيمة نوع السلاح وهي وحدها تتطلب «الحجم».

هذا بالإضافة إلى أن «الردع» لا يلغي خطر الحروب المحتملة، خاصة إذا كان الخصم المحتمل الأكبر موجوداً على نفس القارة وعلى مسافات أصبحت ضئيلة بالنسبة للأسلحة الآلية الحديثة: وبذلك يصبح الردع من اختصاص اسلحة اخرى قادرة على ايقافها، وهذا يتطلب توفر الاسلحة النووية التكتيكية الموجهة بشكل ذكي وفعال يتلاءم مع الشروط الجغرافية الاستراتيجية. واذا ما

اهملت هذه الشروط فان «المهاجم الجبار» يمكن ان يفضل عاملاً يرد على بعض الطلقات النووية واعتبارها شيئاً مقررأ مسبقاً؛ وتقدير أن الاحتلال السريع والشامل للأراضي خاصة الفنية وهي سليمة ستعوضه في المستقبل عن الدمار الجزئي الذي اصابه من جراء هذه الطلقات التي اشترنا اليها . كما يمكن ان تجري الامور على غير هذه الصورة إذا كانت القدرة على التدمير النووي متساوية لدى الطرفين وخاصة عندما يشكل احد المحيطات نوعاً من الحماية في وجه الهجوم العسكري المركز المستدرج، أو ضد الضربات المتلاحقة العنيفة . وعلى كل حال، يجب الانسى بأن اكبر الدول مهما بلغت اسلحتها النووية من القوة والقدرة على الردع لم تتوقف لحظة عن تحسين وتطوير اسلحتها الكلاسيكية حتى كان موقعها الجغرافي نطاق الهجوم البري المباشر.

وأخيراً فقد اصبح من المعروف لدى الجميع ان قرار استعمال الاسلحة النووية مسئولية رهية تقع على عاتق السلطة السياسية الدنيا وحدها، وما من دولة في هذه الأيام، يمكن أن تقدم على اعلان الحرب النووية الشاملة دون ان تحصل على الموافقة الاجماعية المسبقة والضمنية والمعنوية لشعبها . (ويمكن ان نستثني الصين من هذه القاعدة) وهذا يفترض تضامناً وانسجاماً أديباً لها. الشعب الذي يتوقف عليه الموافقة على عملية الردع، وهنا تبرز أهمية الصفات القومية الأساسية لشعب ما، ونحن نرى على سبيل المثال كيف أن الاتحاد السوفياتي يكرس الجهود الجبارة لتثقيف الشعوب السوفياتية بالاعتماد اساساً على الشبيبة والمنظمات شبه العسكرية. ولا تسير الامور على هذا المنوال في اطار المجموعات الدولية الأخرى، حيث يصعب اتخاذ قرار الردع بالاجماع اللهم إلا اذا وصلت المصالح المتشعبة والآراء المشتركة الى درجة توحيد موقف اعضاء هذه المجموعات.

٥ - الجغرافيا السياسية - والجغرافيا - الاستراتيجية

إذا كانت مطامع الدول الحديثة لم تعد تستهدف اطلاقاً الاستيلاء على

أراضي الخصم لضمها نهائياً، فإن رغبته بامتلاك القوة لم تتبدل. وهي لا تحتاج اليوم لفرض هذه المطامع بقوة السلاح، لأنه أصبح بإمكانها فرض إشرافها العسكري والاقتصادي، أي الإشراف السياسي، بشكل مباشر أو غير مباشر دون اللجوء للسلاح، ومع ذلك فإن هذا الإشراف يبقى فعالاً ويمارس تحت شعار الاستقلال الوطني الذي لا يتجاوز حدود الشكل وليس له في الواقع أية قيمة حقيقية، والأمثلة على ذلك كثيرة ومعروفة لدرجة يصعب حصرها. وإن متانة وقوة المجموعات الدولية تتوقف على العناصر الأساسية التي بنيت عليها (الاقتصادية والعسكرية والايديولوجية الخ...) والتي تستند بدورها على العوامل الجغرافية السياسية والستراتيجية الحاسمة.

وان العلاقة الوثيقة بين الفهم الصحيح لهذه القوى من جهة وحسن استثمارها من جهة أخرى تجدد أهميتها لتحقيق التشابك والانسجام المتبادل بينها. وصحيح أيضاً أن الوسائل الحديثة والأسلحة النووية تحدث تعديلاً عميقاً في معطيات المشاكل، إلا أن الأحداث تذكرنا بانتظام بالأهمية الجوهرية للعوامل الجغرافية التي طالما اثبتتها التاريخ، ومع ذلك فإنه من الأفضل أن تفهم القوى على أساس الوقائع الراهنة. ولكي نقرب أكثر ما يمكن من الشيء الذي يهمنا فإننا سنورد بعض المعطيات التي ابرزتها الأزمات الجديدة وبرهنت على تحكمها بالتوازن الدولي بين الغرب والكتلة السوفياتية ومع ذلك فقد اعتاد الناس على التقليل من أهميتها:

فالموقع القديم المعروف تحت اسم «الرباعي البوهيمي» «*Quadrilatère de Bohême*»، والذي يشكل المفتاح الستراتيجي لأوروبا الوسطى، طواه النسيان منذ مؤتمر ميونيخ^(١) (ليس بالنسبة لجميع الناس بالطبع)؛ والسيادة على البحر المتوسط

٩ - تم انعقاد مؤتمر ميونيخ في ٢٩ ايلول ١٩٣٨ بناء على مبادرة من نيكول تشامبرلن رئيس الوزراء البريطاني آنذاك. وحضره كل من أدولف هتلر زعيم ألمانيا. وموسوليني زعيم إيطاليا، وأدوار دالاداميه رئيس وزراء فرنسا. وقد وافق المؤتمرون على جميع طلبات هتلر المتعلقة بضم المناطق التشيكية التي تعطيها مواطنون من أصل ألماني، كما ضمن هتلر أيضاً الموافقة على مطالبه

والأمن الضروري للمواصلات البحرية في داخله، والاستعمال المحتمل والممكن للقواعد الموجودة بين مصر والمرسى الكبير في الجزائر، كل هذا أيضاً يقال عنه أنه عديم الفائدة؛ وعلى صعيد آخر، ولكنه مرتبط بسابقاته، نجد «موقع الجزر البريطانية، لا يفقد أهمية إلا ببطء شديد على الرغم من تحول بحر المانش إلى قناة ضيقة... الخ... وفي اعتقادنا انه ليس من الضروري الإشارة إلى مضاعفات هذه الحقائق الجديدة على تطور الاحداث الدولية ونتائجها في العالم الغربي، وكذلك التحكم بهذه المضاعفات وما ترمز اليه في الجهة المقابلة.

في الأراضي الهنغارية والبولونية. وخيل لتشارلان أنه انقذ السلام العالمي بهذه التنازلات ولكن هذا التراجع المخزي من قبل الدول الغربية (وخاص انكلترا وفرنسا) امام الدكتاتور هتلر، وتخليها عن التزاماتها تجاه اصديقاتها وحلفائها من دول اوربا الوسطى افقدها سمعتها وشجع الدكتاتوريين هتلر وموسوليني على التساوي في الطموح وادى ذلك بالنهاية إلى نشوب الحرب العالمية الثانية. ومنذ ذلك الوقت اصبح اسم «ميونيخ» يعبر عن الخيانة الدبلوماسية والانتهازية في السياسة الدولية التي لا تقترن بأية نتيجة ايجابية.

الفصل السادس

الوجه الجغرافي الاستراتيجي للعالم الحالي

«إن القوى الاندفاعية تمارس دائماً بنفس

الانجاء»

ماكندور

إن كل ما تقدم يحملنا على دراسة الوجه الجغرافي الاستراتيجي للعالم الحالي وذلك بالاستناد الى أحد النماذج الجغرافية - السياسية التي اتينا على ذكرها. وفي اعتقادنا ان نظرية ماكندور هي اكثر هذه النماذج اغراء لأنها تبرز التنسيات الأساسية التي تتطابق في اطارها الكوني مع تقسيات الزمن الحاضر. ولكن الواجب يقضي بتسجيل الوقائع الأساسية للجغرافيا - السياسية على هذه اللوحة الخلفية الثابتة لكي تعطى لهذه اللوحة معناها الحالي. ويجب أن نعتز سلفاً أن هذه الوقائع سوف تبقى خاضعة لمدة طويلة أيضاً الى حقيقة تقسيم العالم الحالي بين «الكتلة الشيوعية» وما يسمى «بالعالم الحر» (الذي يتألف من الكتلة الغربية والعالم الثالث)^(١).

١ - ان النظرة الموضوعية لما يسمى بالعالم الثالث لا تؤدي الى نفس النتيجة التي وصل اليها المؤلف من اعتبار هذا الجزء من العالم تابعاً لكتلة الغربية. كما لا يمكن اعتباره جزءاً من الكتلة

صحيح أن «مفهوم الكتلة» أو الكلمة نفسها ليس لها نفس القيمة المطلقة هنا وهناك، وإن تعريف العالم الثالث ابعدها ما يكون عن الجمود، إلا أن هذه التسميات أصبحت دارجة على ألسنة الناس ومعتز بها وسوف نعود إلى استخدامها تحريماً للسهولة. ومن المناسب قبل كل شيء أن نستعرض نتائج هذا التقسيم في إطار لوحتنا الجغرافية الاستراتيجية.

فكتلة «الجزيرة الكونية» World Island التي عرفها مكدونالد تكاد تكون في مجملها تحت سيطرة العالم الشيوعي من الستار الحديدي غرباً إلى المحيط الهادي شرقاً، ولكن محيطها - باستثناء الصين - يتألف من بلدان «التخوم البحرية» - الأرضية» العائدة للعالم الغربي أو العالم الثالث.

وهكذا نجد أن الوحدة الطبيعية لـ «اوراسيا» تدعم بوحدة ايديولوجية في ظل الماركسية. غير أن التمايز بين أوربا وآسيا لا يزال قائماً على الرغم من هذه العوامل. وإن القطيعة بين الشيوعية الصينية، والشيوعية السوفياتية تتفق بشكل غريب مع العداءات العرقية والقومية القديمتين، وهذه أيضاً تستند إلى الوقائع الجغرافية السياسية.

ولا يزال البحر هو الصلة الطبيعية الوحيدة روحياً ومادياً بين أجزاء العالم الحر المبعثر جداً.

«الجزيرة الأمريكية العظمى» هي القطعة الرئيسية في العالم الحر عامة وفي الكتلة الغربية خاصة، وهي تقف بمواجهة «اوراسيا» من الشرق والغرب والشمال عبر المحيط الأطلسي والمحيط الهادي والمحيط المتجمد الشمالي، وبين جزئها الشمالي والجنوبي تشكل «أمريكا الوسطى» إحدى المناطق الوسيطة غير المستقرة، بل هي إحدى نقاط الاتصال العالمية التي تعج بالدول الصغيرة. ونظراً لكونها

الشيوعية، وعلى الرغم مما يكتنفه الآن من تخلف وضعف وما يدور في داخله من منازعات وارهاسات، فإنه باعتقادنا يمكن أن يقوم بدور المرجح بين الكتلتين الهاتئتين أو من «المعلقة» الذين يتطلعون «بنهم ظاهر» إلى تقاسم النفوذ والتسلط على هذا العالم. (المغرب)

«مفصلاً» شديد الحساسية، فإنها تعتبر هدفاً دائماً لستراتيجية الخصم حتى في زمن السلم. ويمكن اعتبار «كوبا» أكبر دليل على ذلك لأنها أصبحت بمثابة «الورم السرطاني» في مفصل الجسم الأمريكي الكبير.

أما بلدان العالم الثالث فتتضمن في إطار الحياض المتأرجح بين الكتلتين، وتحتل شريطاً عريضاً من الكرة الأرضية يغطي «اوراسيا الجنوبية» والجزء الأعظم من افريقيا، وفي وسط هذا العالم يقع «المفصل الحساس وغير المستقر المعروف باسم الشرق الأوسط». وإذا نظرنا للعالم الثالث من الشرق الى الغرب لاحظنا أن هذا الشريط يصل الى التواء الغربي للقارة الافريقية. . ويكون بذلك أقصر الطرق وأفضلها باتجاه المفصل الغربي، بالنسبة للخصم الذي لا يسيطر على اوربا الغربية. أما اذا نظرنا اليه بالاتجاه المعاكس يصبح نفس الطريق الذي مونت بواسطته امريكا بين عام ١٩٤٢ - وعام ١٩٤٥، البلدان الحليفة في الشرق كما مونت الاتحاد السوفياتي عبر هذه البلدان.

واخيراً فإن نفس الطريق الذي تحاول الاستراتيجية السوفياتية «تعليمه» على مراحل بمحاولتها التسلسل الى سورية، ومصر، والسودان وغينيا ثم كوبا^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن نقطتي الاتصال الاميريكية «امريكا الوسطى» الافرو آسيوية «الشرق الأوسط» تختزنان في باطنهما كميات هائلة من احتياطي البترول في العالم وهذا وحده يكفي لكي يجعل منها اهدافاً من الدرجة الأولى لكل استراتيجية كونية.

واخيراً ألبد من ابداء ملاحظتين هامتين بالنسبة للعالم الثالث:

٢ - ان هذا الطريق التي يشير اليها المؤلف تعود إلى فترة الخمسينات والستينات من هذا القرن، وان القاء نظرة فاحصة على خريطة العالم في السبعينات تظهر مدى التبدل السريع الذي يطرأ على هذا الطريق الاستراتيجي الكوني بالاتجاهين، نتيجة للتنافس المستمر بين المعالقة (المغرب).

١ - من الناحية السياسية : لم تكن الافكار هي الأساس الذي بنيت عليه هذه المجموعة الدولية . ولكنها اقيمت على العواطف التي تشكل نوعاً من الايديولوجية السلبية ، ولهذا فهي معرضة للزوال مع الاسباب التي اوجدتها وهي الاستعمار . كما أن «الوحدة الاسلامية» تلعب فيها دوراً جزئياً . ومع ذلك فإنه لن يكون في مقدور هذين العاملين (العداء للاستعمار، والاسلام) دفع العالم الثالث كلياً أو جزئياً باتجاه هذه الكتلة أو تلك وفقاً للظروف .

٢ - من الناحية الاقتصادية : ان الشروط الاقتصادية . تمليها الحياة نفسها والرغبة بالازدهار ان امكن والعالم الثالث يرتبط بالمواصلات الخارجية والبحرية منها على وجه الخصوص ، كما ينقسم طبقاً لانقسام المحيطات التي يفتح عليها . اما الشروط العسكرية والعملياتية والادارية فإنها تفرض نفس التقسيمات الاستراتيجية من أجل نفس الأسباب .

وعلى ضوء هذه الملاحظات التي لا بد للاستراتيجية الكونية ان تدرسها بما يتفق مع ثلاثة مناطق كبرى تحمل كل منها اسم احد المحيطات . وهذه المناطق هي :

- المنطقة الأطلسية . منطقة المحيط الهادي ومنطقة المحيط المتجمد الشمالي . ويمكن أن نلاحظ أيضاً أن كلاً من هذه المناطق الثلاث تفرضها مجموعة من المعاهدات التي تجسد تناسب مع أهمية المصالح التي تتصارع فيها . ومن المعروف أن التقسيم الذي تبنيه في هذا البحث يتناسب مع نظرة شاملة وعامة جداً للكرة الأرضية ، وإن الدراسة الكاملة ستضيف إليها بالطبع تقسيمات أخرى أكثر تفصيلاً ولكننا لن نتعرض إليها في إطار هذا الكتاب المحدود .

١ - حدود المناطق :

(انظر الشكل - ٤ - والشكل - ٥ - الصفحتين ١٢٢ و ١٢٣)

إن منطقتي المحيط الأطلسي والمحيط الهادي ، مفصولتان عن بعضهما

بالقارة الاميركية من كندا حتى أرض النار La terr du Feu^(٣) من جهة، وبالنظر
الذي يصل بحر كارا La Mer KARA^(٤) برأس الرجاء الصالح عبر الادرال وبحر
قزوين وبغداد وبحيرة فكتوريا.

اما منطقة المحيط المتجمد الشمالي فتشغل الدائرة القطبية، باستثناء شبه
الجزيرة السكندنافية حتى البحر الابيض أودلك الجزء المتحرر من الجليد - بفضل
التيار الساخن المسمى غولف ستريم Gulf Stream - الذي يوصلها بالمحيط
الأطلسي.

والمنطقة الأطلسية تغطي البحار الداخلية، كبحر البلطيك، والبحر
الابيض المتوسط، والبحر الأسود.

أما منطقة المحيط الهادي فتضم المحيط الهندي، وهذين المحيطان متصلان
ببعضهما من كل النواحي^(٥).

(انظر الخرائط على الصفحتين ١٢٢-١٢٣)

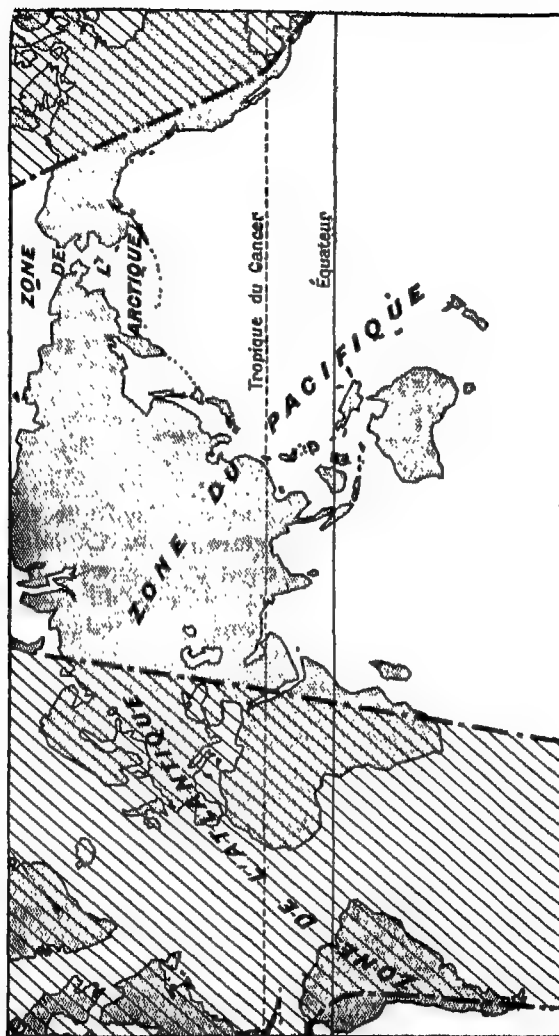
وإذا كان من الطبيعي أن يسعى مثل هذا التقسيم ليكون منطقياً، إلا أنه
مع ذلك يبقى كفيلاً على مستوى الأمكنة، فهو يقسم الاتحاد السوفياتي والشرق
الأوسط الى قسمين، بينما يشكل كل منهما مجموعة جغرافية متناسكة واحدة.
ولكن يتفق في الاتحاد السوفياتي على التقسيم التقليدي الذي يميز بين روسيا
الاوربية وروسيا الآسيوية، اللتان لم تتوحداً عبثاً، أما الشرق الأوسط فهي ملتقى
طرق عالمي ونصفه الشمالي الغربي كان منجذباً على الدوام الى البحر الأبيض
المتوسط. بينما يتجه نصفه الجنوبي الشرقي نحو الهند والشرق الأقصى^(٦).

٣ - النقطة التي تقع في أقصى الجنوب من امريكا الجنوبية وتسمى Tierra Del Fuego

٤ - بحر كارا يقع في شمالي الاتحاد السوفياتي بين بحر بالانت وبحر ليبثف.

٥ - يتجنب المؤلف ذكر المحيط العربي الذي يقع جنوب شبه الجزيرة العربية بين سواحل افريقيا
والمحيط الهندي.

٦ - لعل هذا التوزيع ايضاً يقتصر الى الدقة ولا يخلو من الغرض، لأن هذه المنطقة ذات حضارة
عريقة وعالية ومفتوحة على كل الجهات دون أي تأثير ظاهر من النوع الذي يذكره المؤلف.



شكل - ٤ -
منطقة الأطلسي والباسفيكي



شكل - ٥ -
منطقة البحر المتجمد الشمالي

ومهما يكن هذا التقسيم الجغرافي، فمن الضروري ألا ننسى إطلاقاً الترابط المتبادل بين البلدان، الذي لا يمكن أن تلغيه كل التدابير المصطنعة المناقضة للطبيعة.

والمناطق الكبرى الثلاث تشتمل على بلدان حيادية فعلاً (مثل سويسرا

والسويد) وبلدان من العالم الثالث تسعى كل جهدها لتكون «غير منحازة، إلا أن ميسول كل بلد منها يختلف باختلاف الظروف ولهذا الأهمية في المراحل التحضيرية لستراتيجية زمن السلم، غير أن الحرب اذا استمرت لفترة طويلة لن تسمح لهذه البلدان بأن تبقى معزولة عن الصراع وسيكون خيارها خاضعاً - اذا لم يكن مفروضاً - لمكان موقعها في الاطار الجغرافي الاستراتيجي الكوني.

٢ - الترابط المتبادل بين المناطق :

تضم كل من المناطق الكبرى الثلاث التي أتينا على ذكرها جزءاً من «الدولتين العملاقين» اللواتي يتبوأ كل منهما الزعامة في المعسكر التابع لها (وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي). وسوف نرى ان الأحزمة المحيطة بكل منهما تلعب دوراً مماثلاً.

١ - امريكا :

فالولايات المتحدة الامريكية تشكل مع كندا - المرتبطة بها من كل النواحي - كتلة منسجمة طبوغرافيا، ولكن بنيتها الداخلية متنوعة جداً، فالجزء المركزي منها ذو الطبيعة القارية نسبياً يحتفظ بميول انعزالية ويهتم بهذه المنطقة أو تلك حسب الاحداث ومضاعفاتها على حياته الخاصة.

وعلى عكس ذلك فإننا نجد الاجزاء الشرقية والغربية ذات «طبائع محيطية» جداً ولها افكارها ونشاطاتها التي تشد كل منها أو الشرق الأقصى طبقاً لموقعه.

وترتبط قناة بناما بين هذين الجزئين بالاضافة للطرق الجوية والبرية. فتساعد على انتقال الاساطيل البحرية الامريكية لسهولة من محيط الى آخر. ومن المعروف أن هذه الاساطيل تشكل مع القوى الجوية العناصر الاساسية لقوة الولايات المتحدة الامريكية العسكرية. والقناة تشكل نقطة استراتيجية جوهريّة وبالتالي فهي هدف حيوي من الدرجة الأولى.

وعلى الرغم من المسافات والتنوع الداخلي للولايات المتحدة الامريكية الا

انها تحتفظ بصفة «جزيرية» أكيدة. وتعتبر لذلك قوة عسكرية بحرية نموذجية، خاصة وأنه لا يحيط بها بلدان عدوة على أرض نفس القارة. وإن قواتها البرية المسلحة مدعوة دائماً للعمل في مناطق «ما وراء البحار» حتى ولو كان ذلك على أرض القارة نفسها. ولهذا السبب فإن القوى الجوية، والقوى البحرية بشكل خاص بما في ذلك المشاة البحرية، تلعب دوراً أساسياً في العمليات التعرضية وفي تأمين النقل الضروري. لاقتصادها الهائل ولحاجاتها العسكرية. وإن المرونة وسرعة الحركة المدعومة دائماً بالأسلحة الحديثة تميز هذه القوات التي تقف باستمرار على أهبة الاستعداد للعمل في المناطق البعيدة.

والواقع النووي لا يتناقض مع هذه الصفة فبالإضافة للصواريخ العابرة للقارات، نرى أن قواتها الرادعة وقواتها الضاربة - عند الاقتضاء، تتألف من الطيران الثقيل، ومن حاملات الطائرات والغواصات النووية القادرة في كل لحظة على إطلاق قذائفها النووية على أية نقطة من الكرة الأرضية.

أما من وجهة النظر الدفاعية، فإن الخطر يهدد بشدة عناصر هذه القوة نفسها أولاً: بسبب التمرکز الصناعي والبشري في الجزء الشمالي الشرقي وعلى الشواطئ المطلّة على المحيط الهادي فيجعل منها أهدافاً مثالية للهجوم النووي، وثانياً بسبب المواصلات البحرية الحيوية. وهذا يعني أنه لا بد للولايات المتحدة الأمريكية من الاحتفاظ بالسيادة البحرية والجزيرة الأمريكية الهائلة (أي القارة الأمريكية) محرومة من حزام الجزر على المحيطين الأطلسي والهادي وعلى مستوى الاستراتيجية العامة، فإن الأرض الجديدة La Terre neuve ملتحمة مع القارة وإن سلسلة جزر الانتيل تكاد تكون متصلة ببعضها البعض شأنها بذلك كشأن البرزخ الذي تشكله أمريكا الوسطى. أما جزر الهاواي من ناحية وجزر برمودا والسلفيرا من الناحية الأخرى فتعتبر «شواخص» ثمينة، ولكن عزلتها تحد من امكانياتها، وعلى العكس فإن احتلالها من قبل العدو المحتل سيشكل في حالة حدوثه خطراً جويّاً على أمريكا. وفي الشمال توفر غروثلاند والجزر الكندية مواقع متقدمة، ولكن المناخ القطبي القاسي في كل منها يشكل معوقاً جويّاً. كما أن افتقار أمريكا

للجزر يزيد في الفعالية الدفاعية للعزلة الامريكية ولكنه لا يعطيها أي «بعد» لتغطية اراضي القارة ضد الهجوم الجوي : لذلك نرى ان الولايات المتحدة الامريكية تبذل جهوداً جبارة لسد هذه الثغرة، عن طريق استخدام «الجزر العائمة» التي تشكلها بعض الكتل الثلجية المتجمدة، كما تبني جزراً صناعية تزرعها في عرض المحيطات مقابل شواطئها وتنصب فوقها محطات الكشف والاذار الالكتروني البعيدة المدى، كما تستخدم بعضها لاقلاع الطيران العمودي^(٣).

وأخيراً فإن شبه جزيرة الاسكا التي تكملها مجموعة جزر الاليوتين Aleoutiennes تشكل موقعا استراتيجياً هاماً . بسبب جوارها المباشر للاراضي السوفياتية (عدة كيلومترات فقط عند مضيق برنك) وبسبب ما تسمح به من اشراف على مضيق بيرنغ، هذا المرور الاجباري للطريق البحري الذي يصل «مورمانسك» بـ «بقلاديقوسنك» عن طريق الشمال، كما تشكل قاعدة جوية هامة نظراً لموقعها الملازم للطيران، وبذلك توفر أراضيها عدداً من المراكز الملازمة للرصد وللقاذفات الثقيلة .

٢- الكتلة الشيوعية :

يحتل القسم الأعظم من العالم الشيوعي «الكتلة القارية من أوراسيا» . وقد سبق وأتينا على ذكر الخصائص الجغرافية السياسية لهذه الكتلة . فقد كانت روسيا دائماً «برية عسكرياً» ولم تكن قواتها الجوية نفسها لمدة طويلة سوى قوة للدعم الجوي التكتيكي للجيش بالاضافة لطيران المطاردة، وتقوم استراتيجيتها التقليدية في الهجوم، على استخدام قوات هائلة متماسكة، وتقوم في الدفاع على الاستمرار بارهاق المهاجم على جبهته الواسعة الى ان يتفكك .

وتبقى هذه الاستراتيجية على حالها في حالة نشوب حرب على القارة في

٧ - او كمحطات للاتصالات السلكية واللاسلكية عن طريق الاقمار الصناعية وتوجيه الصواريخ والسفن الفضائية .

الشرق والغرب مع التغيير الذي تفرضه سرعة الحركة للجيش والأسلحة الحديثة .

ولكن العدو المحتمل الرئيسي (للاتحاد السوفياتي) منذ الآن يقع ما وراء المحيطات ولا يمكن إصابته إلا عن طريق الجو أو البحر . ومن هنا تبرز حاجة الاتحاد السوفياتي الماسة لستراتيجية ذات طبيعة بحرية . وبهذا نجد الاتحاد السوفياتي رغم امتلاكه للصواريخ العابرة للقارات ذات الرؤوس النووية، يعود لتبني السياسة العسكرية الروسية القديمة ويأرسها بشكل ممتاز وتتلخص : بالسعي للحصول على منافذ للمحيطات، وإقامة قواعد بحرية خارجية ولتشكيل سطول بحري حديث وقوي .

وقد سبق لقيصر روسيا بطرس الأكبر أن قال في هذا الصدد : «ان الدولة التي ليس لها سوى الجيش لا يكون لها إلا ذراع واحد، ولهذا لا بد لها من امتلاك اسطول بحري لكي يصبح لها ذراعان» . ويلاحظ الآن هذا الطموح في طريقه للتحقيق . .

وهكذا فإن وضع الاتحاد السوفياتي في العالم وقوة دولته العملاقة . وإيديولوجية ذات الاهداف الكونية . تتكاثف لكي تحقق مفهومين اساسيين في المجال المزدوج للجغرافيا - السياسية والجغرافيا - الاستراتيجية واحد هذين المجال المزدوج للجغرافيا - السياسية والجغرافيا - الاستراتيجية واحد هذان المفهومان «قارياً» ويتطور خلف ستار «المقافز» الخارجية التي تشكلها البلدان تكون قواعد انطلاق تعرضية للاحتكاك بالخصم المحتمل ، أما المفهوم الثاني فهو «بحري» يشبه المفهوم الغربي .

ومن الجدير بالذكر أن المفهوم الأول يتلاءم مع العزلة الخاصة بالكتلة الشيوعية بل ويدعمها، والمفهوم الثاني يتجه - على عكس ذلك - للخروج من العزلة كما كان يتمنى القياصرة القدامى ، وهو يحتاج الى الحلفاء أو على الأقل لعقد اتفاقيات مع البلدان البعيدة التي يجب كسب صداقتها ؛ وهذا لا يمكن أن

يتم بدون غمطرة، ويستلزم إقامة علاقات مع البلدان الأخرى الأمر الذي يحتاج «المرونة» لا إلى «الاملاء والقوة» على الآخرين .

هذا وقد سبق واشترنا إلى المحاسن التي يوفرها «الحجم» للاتحاد السوفياتي، فهو يوفر البعد الهائل لانتشار العناصر الحيوية، والاحتياجات الضخمة من كل الأنواع، ولكن ذلك لا يغفل من المساوىء، وخاصة باتجاه الصين التي لم تعد صديقة ويمكن أن تصبح عدوة. وإذا كانت «الكتلة السيبيرية» تشكل ورقة رابحة لا مثيل لها فإن المسافات الداخلية الطويلة الناتجة عنها يشكل بدورها عوائق جدية، يزيد في خطورتها «المناخ القاسي».

ويبدل الاتحاد السوفياتي جهوداً جبارة لتحسين خطوط مواصلاته: كالأقنية الضخمة على المحاور - شمال - جنوب؛ والطرق البرية، والسكك الحديدية، والخطوط الجوية، لكن روسيا الأوروبية وسيريا الشرقية تشكلان مسرحين مستقلين للعمليات ومتباعدتين جداً عن بعضهما؛ وإن مضاعفة طريق عبر سيبيريا، ليس سوى ملطفاً بسيطاً لهذه المشكلة، كما يبقى الطريق البحري من الشمال طويل وصعب على الرغم من الامكانيات التقنية الجديدة التي تساعد على تحريره من الجليد.

والواقع أن هذين المسرحين منفصلين عملياً أكثر من انفصال أوروبا الغربية عن أمريكا مثلاً، ومع ذلك فإن سيبيريا والمنفذ إلى المحيط الهادي تزداد أهميتهما يوماً بعد يوم بالنسبة للاتحاد السوفياتي من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية، بينما يتصاعد التهديد الصيني لهذين المرفقين الجنوبيين طمعاً بالتوغل نحو الشمال مما يعرضهما للانفصال عن روسيا الأوروبية، ويرتب هذا الوضع على الاتحاد السوفياتي مسؤولية كبرى تضطره للاحتفاظ بمجموعتين مستقلتين من القوات بشكل دائم أحدهما في أوروبا والأخرى في آسيا، كما يدفعه ذلك الحرص على عدم المخاطرة بحرب مزدوجة في الشرق والغرب في آن واحد، والتصلب في تنفيذ المفاهيم الاستراتيجية التي تحتل أي بادرة للتخاذل من قبل حلفائه.

والصين أيضاً بلد ضخم ومتناسك، وهي تسعى لخلق دول تابعة لها لتقيم

حولها حزاماً وقائياً ومقفرأً استراتيجياً عن اللزوم . وهي تتنافس مع السوفييت بفرض الاشراف العسكري والسياسي على كوريا والهند الصينية^(٨) . ولكن الصين تتميز عن الاتحاد السوفياتي بامتلاك شواطئ طويلة ومفتوحة على المحيط الهادي ، وهي غنية بالموانئ الممتازة ومصبات الانهار الصالحة للملاحة ، غير أنها لا تزال فقيرة جداً ، وضعيفة صناعياً .

وتملك الصين قوة بشرية هائلة تقدر بثمانمائة مليون^(٩) نسمة تقريباً ، كما أنها استطاعت في السنوات الأخيرة انتاج القنابل الذرية والهيدروجينية وبذل جهوداً فعالة لانتاج وسائل حمل هذه القنابل كالصواريخ المتوسطة والطويلة المدى والطائرات الثقيلة ، وسوف تحصل على هذه الوسائل في المستقبل القريب^(١٠) ، ومن الصعب جداً التنبؤ باستخدام الاستراتيجية الذي تريد تطبيقه بقوتها الجديدة في زمن السلم كوسيلة للضغط السياسي وفي زمن الحرب الحقيقية .

وإذا كان التطور الممكن للنزاع الصيني - السوفيتي ومضاعفاته لا يزال عامضاً ، فإن الملاحظة الموضوعية للوضع الراهن في الشرق الأقصى يشير الى بعض الدلائل الملموسة . فنحن نرى كيف أن الولايات المتحدة الامريكية تبذل أقصى الجهود من أجل «احتواء التوسع الشيوعي» وتطوير الصين بجهاز دفاعي يعتمد من بورما الى كوريا الجنوبية .

وتشكل بالمساعدات السياسية والاقتصادية لدول هذه المنطقة ، السلاح الدائم الذي يعزز عند اللزوم بالتدخل العسكري المباشر كما حدث في كوريا

٨ - ازداد هذا التنافس منذ رحيل القوات الأمير يكية عن فيتنام وكمبوديا ، ويتجسد بشكل واضح في النزاع الأخير بين فيتنام وكمبوديا وفي هجرة الأقليات الصينية من فيتنام .

(المرب)

(*) تجاوز عدد سكان الصين المليار نسمة في يناير عام ١٩٨٨ .

٩ - تواترت المعلومات عن انتاج الصين للصواريخ المتوسطة المدى والتي تصل إلى مسافات تتراوح بين ٣٠٠٠ كم إلى ٧٠٠٠ كم .

والهند الصينية^(١٠) والحقيقة أن الوسيلة الوحيدة التي تضمن لأمريكا تحقيق هذا الهدف هي السيطرة على المحيط الهادي . والعكس صحيح أي انه ما من وسيلة تحول بين امريكا وبين استمرار سيادتها على المنطقة سوى القوة البحرية المعادية التي تنتزع منها السيادة على هذا المحيط .

ولا يستبعد ان تفكر الصين بالوصول الى هذا الهدف على المدى البعيد ، غير أنه من الأسهل والأسرع - بل قد يكون من الأفضل - لها الحصول على الأسلحة النووية بدلاً من محاولة انشاء اسطول بحري في مستوى اساطيل الدولتين العملاقتين .

ولقد اظهرت الحرب الفيتنامية الأخيرة مدى أهمية السيطرة على البحار المحيطة بالكتلة القارية . فالواقع أن تموين شمال الفيتنام يكاد يمحصر في «ميناءها يفونغ» وليس عبر حدودها الطويلة مع الصين . وقد انشبت أحداث الحرب صحة ذلك . كما اثبتت بنفس الوقت صعوبة تنفيذ فكرة تدمير هذا المرفأ تدميراً كاملاً رغم ان ذلك كان دائماً في حدود امكانيات الطيران الأمريكي : والسبب الرئيسي هو الخوف من اندلاع حرب عالمية شاملة لأن الاتحاد السوفياتي والصين لا يمكن أن تقبلا حالة التوقف الكامل والنهائي لمساعدتهما لفيتنام . . . وهكذا بقي «ميناء

١٠ - لقد طرأ بعض التعديل على استراتيجية امريكا في هذه المنطقة وخاصة بعد اضطراب امريكا للانسحاب من الهند الصينية . وقرار الكونغرس الأمريكي بعدم السماح لرئيس الولايات المتحدة بارسال القوات المسلحة للقتال في الخارج . واعتقاد المبدأ الذي اطلق عليه اسم «الفتنة» أي الاعتماد على الجيوش المحلية لمحاربة الأنظمة الثورية .

هذا بالإضافة إلى ان امريكا قطعت شوطاً كبيراً في تحسين علاقاتها مع الصين ، منذ زيارة الرئيس نيكسون لبيكين عام ١٩٧٤ حتى الآن .

كما عدلت اتفاقياتها الدفاعية مع اليابان بشكل يسمح لهذه الأخيرة للمساهمة بشكل فعال للوقوف إلى جانب الولايات المتحدة تجاه الاتحاد السوفياتي ، واحتواء الخطر الصيني ، في جنوب شرق آسيا .

(المغرب)

هايفونسخ» مذبحاً مقدساً طوال حرب فيتنام يحميه هذا التهديد باعتباره الرثة الوحيدة التي تتنفس منها منطقة تونكين.

٣ - الأحزمة المحيطية

يمكن تمييز ثلاثة «أحزمة تحيط بالكتلة الاوراسية» وتستقل عن امريكا من الناحية الطبيعية :

أ - الحزام شبه الجزيري : ويتكون من مجموعة «أشباه الجزر» تتصل في الغرب مع شبه الجزيرة الأم التي هي اوربا الغربية في أقصى اوراسيا . وتشتمل في أوربا على شبه جزيرة اسكنديناويا ، وايطاليا ، واسبانيا ، واليونان ، بالإضافة الى اشباه جزر اخرى صغيرة مثل الدانمرك والكونتانان^(١١) ومن ثم تأتي شبه جزيرة تركيا والشرق الأوسط^(١٢) ويشكلان همزة وصل بين القارات الثلاث .
أما في آسيا فهناك شبه الجزيرة الهندية ، وشبه جزيرة ماليزيا والهند الصينية وكوريا .

وجميع هذه الأشباه الجزر منفصلة عن القارة بحواجز طبيعية ، ولكن البحر يصل بينها أكثر من اليابسة . وهي عبارة عن «رؤوس جسور» نحو الكتلة القارية ، كما أنها بالنسبة للقارة «مقافز» باتجاه العالم الخارجي .

فشبه الجزيرة الايطالية وشبه جزيرة الكونتانتان كانتا رأسا جسر للحلفاء في الحرب العالمية الثانية . بينما حاول الاتحاد السوفياتي «القفز» للخارج عن طريق شبه الجزيرة اليونانية أولا ثم عن طريق شبه جزيرة كوريا وأخيراً عن طريق شبه جزيرة الهند الصينية .

إن هذا الحزام يبدو للناس الى خريطة الكرة الأرضية كأكليل من الورد يزين الكتلة الاوراسية ولكنه بنفس الوقت شديد الحساسية بسبب ما يدور حوله من

١١ - Le Cotentin هي شبه جزيرة بريتانيا الفرنسية التي تقع بين مصب نهر السين في الشمال ومصب اللوار في الجنوب .

١٢ - شبه الجزيرة العربية .

منازعات، وان قوته تكمن في تكامله وتناسكه وان أي غزق في اطرافه يشكل تهديداً لصلابة المجموع. والمثال على ذلك هو ان كل ما يجري في الشرق الأقصى لا يمكن أن يطمئن اورياً ولا يمكن أن تنظر إليه بعدم المبالاة.

ب- حزام الجزر الداخلية: ويشتمل على جزر كبيرة تحيط بالقارة مثل: سيبيريا، وإيسلندا وبريطانيا، وشمال غربي افريقيا (التي تعتبر بمثابة جزيرة من الناحية الاستراتيجية لأنها مفصولة عن الكتلة الافريقية بواسطة الصحراء الكبرى)، وكريت وقبرص وسيلان واندولاند والفيلبين، وفورموزا واليابان والاليوتين.

وهذا الحزام يعزز الحزام الأول ويكرر مميزاته ويزيدها: فانفصاله عن القارة يشكل مخرجاً شديداً للصعوبة بالنسبة للكتلة الداخلية التي لا تستطيع ان تضع قدمها عليه الا بعمليات جوية - بحرية، لا يمكن مباشرتها الا بعد احتلال اجزاء من الحزام الأول، والحصول على التفوق الجوي فوق البحر عملياً على الأقل، وهذا ما ينطبق بالضبط على المأساة الهتلرية.

وتعتبر هذه الجزر في البداية اهدافاً جوية أيام الحرب الساخنة، واهدافاً للحرب النفسية زمن السلم.

ج- حزام الجزر الخارجي: وهو يشكل مع القارة الامريكية «مؤخرات العالم الحر». فالجزيرة التي تتكون عملياً من «الدول البيضاء»^(١٣) في افريقيا الجنوبية ومدغشقر والارخبيلات المجاورة لها، واستراليا وكاليدونيا الجديدة، وزيلندا الجديدة، وارخبيلات اوقيانوسيا وأخيراً جزر المحيط الهادي حتى هاواي، كلها تشكل مواقع امامية.

ولهذا الحزام أهمية استراتيجية خاصة ابرزتها حرب الباسيفيك بين عامي ١٩٤٢ و١٩٤٥. وقد ازدادت أهميتها لسببين: الأول هو التقدم السريع الذي

١٣ - يطلق المؤلف على الدولتين العنصريتين، جنوب افريقيا وروديسيا اسم «الجزيرة البيضاء» وهذا يعبر عن مدى أهمية هاتين الدولتين بالنسبة لاستراتيجية الغرب. (المعرب)

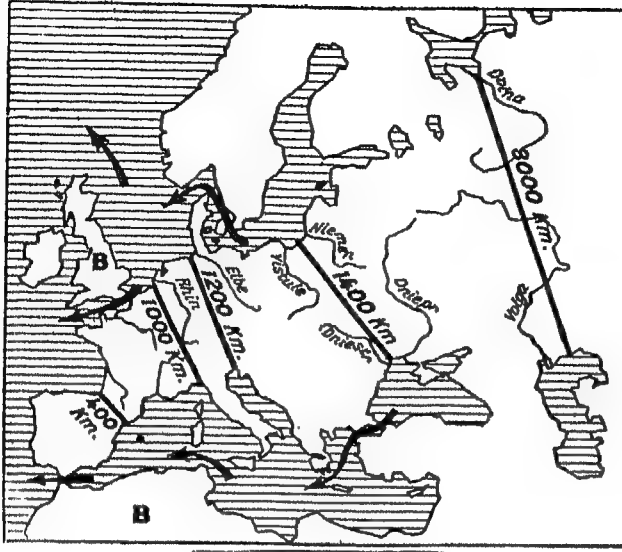
احرزه الطيران مما يستلزم اقامة قواعد جوية بعيدة. والثاني لأن بعض «النقاط المفتاحية» من الناحية الاستراتيجية مثل عدن، وترينكولماللي Trincomallee وسنغافورة الخ.. أصبحت اليوم مهددة مباشرة بل ان بعضها خرج فعلاً عن سيطرة الغرب بعد أن كانت لزمن طويل تحت نفوذه. وهكذا اظهرت الاحداث الراهنة اهمية جزر المحيط الهادي التي كانت حتى الآن مهمة بل ومجھولة.

٣ - المنطقة الأطلسية :

تبرز اوربا الغربية على لوحة المنطقة الأطلسية في المقام الأول، وبذلك تكون «القطعة الرئيسية» التي تستحق انتبهاً خاصاً. وقد قيل في الماضي أن أوربا تمثل «الرأس الصغير لآسيا» وكما قلنا نحن بأنها تشكل «شبه جزيرة أوراسيا» التي يتصل بها عدد من اشباه الجزر الثانوية. ويبين التاريخ ان محورها من الشرق الى الغرب كان طريقاً لحركات الغزو الكبرى في الاتجاهين، أما الهجمات الواسعة في الحروب الحديثة فكانت السهول الشبالة الواسعة طريقها التقليدي. ومع ذلك فقد اجتاحت اوربا غزوات هامة سالكة طرقاً عرضانية، فالفايكنج^(١)، اجتاحت القارة من الشمال الى الجنوب حتى ييزنطة، كما استخدم النورمان الانهار العرضانية في فتوحاتهم، أما العرب فقد اجتازوا المخاضتين المائلتين في البوسفور وجبل طارق واتجهوا نحو الشمال. واليوم تجدد أوربا نفسها من جديد تحت هذه الشروط حيث لم يعد الصراع داخلياً ولم تعد هذه القارة سوى احد ميادين هذا الصراع. وشبه جزيرة اوربا تتقلص من حيث المسافة طبقاً لخمسة «برازخ» تكاد تكون متوازية، شمال - شرق أو شمال - غرب - جنوب - شرق، وهذه البرازخ هي :

(انظر الشكل - رقم ٦ -)

١٤ - Vikin هم سكان بلاد الشمال الاسكندنافية.



شكل رقم - ٦ -

- برزخ اركانجلسك - استراكان وعرضه ٣٠٠٠ كم وينطبق على حدود روسيا الأوروبية.
- برزخ كوتسبرغ - أوديسا وعرضه ١٤٠٠ كم ويشكل تقريباً الحد الغربي لروسيا.
- برزخ لوبيك - ترسينا وعرضه ١٢٠٠ كم وينطبق على خط «الستار الحديدي».
- برزخ نفرس - جنوا، عرضه ١٠٠٠ كم.
- وأخيراً برزخ بايون - بورقاندور، وعرضه ٤٠٠ كم، وتغطيه جبال البيرينيه التي تفصل اسبانيا وفرنسا.
- وكل واحد من هذه البرازخ يتضاعف بشكل غريب بسلسلة من طرق

العبور أو المواصلات الطبيعية التي تشتمل على الاودية والفوهات والطرق المائية التي لا تكاد تنفصل الواحدة منها عن الأخرى . وفرنسا نفسها يمكن اعتبارها برزخاً عريضاً بين البوش دورون وخليج السين ، وكثيراً من مميزات تاريخها يمكن تفسيره على هذا الأساس ، ومن هاتين النهايتين انطلقت الجيوش الحليفة بعد الانزال في النورماندي والبروقانس (جنوب فرنسا) وصعدت مع الوديان لتتلاقى في منتصف الطريق . وهذا المثال يكفي لاطهار الدور الاستراتيجي الذي يمكن أن تلعبه البرازخ .

ومن الملاحظ ان جميع الانهر الاوربية الكبرى تجري بشكل عرضاني ، باستثناء نهري البو والدانوب ولهذا كان ينظر إليها لفترة طويلة كحواجز استراتيجية ولكنها لم تؤد هذه المهمة الا نادراً . غير أن وسائل العبور الحديثة استبعدت هذا الدور أكثر من أي وقت مضى بواسطة طرق المواصلات والوديان التي تسهل التقدم ، والطرق الملاحية بشكل أقل .

والكتل الجبلية تحتل الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة بشكل خاص ، وهي عبارة عن حواجز طبيعية اقليمية يجب الالتفاف حولها ، خاصة تلك التي تشكل مناطق عمليات ثابتة حيث تصبح الاسلحة الحديثة أقل فعالية ، وحيث تستعيد الاسلحة الكلاسيكية . مكائنها بجداره .

ويمكن للاستراتيجية ان تشكل من الكتل الجبلية جزيرات مقاومة وتقيم فيها مصائد ضخمة للدبابات ، لا يمكن للعدو التغلب عليها الا بجهود جبارة . كما يمكن استخدام الجبال كرؤوس جسور تمون من الجو .

والاحزمة «الجزيرية» ، وشبه الجزيرية ، تؤمن حول اوروبا امكانيات استراتيجية رائعة ، أكان ذلك بالنسبة لمواقع العناصر المختلفة أم بتكوينها الطبيعي والاقتصادي ، وهي تؤمن من الشمال والجنوب هيئات متناظرة تستحق الذكر .

أما البحران الداخليان (البلطيك والأسود) فتغلق احدهما شبه الجزيرة السكندنافية وتغلق الآخر شبه جزيرة آسيا الوسطى . وتتشكل كلتاهما من كتل جبلية قاسية تنتهي بنوع من المضائق : البوسفور والدردنيل من جهة ، والسوند

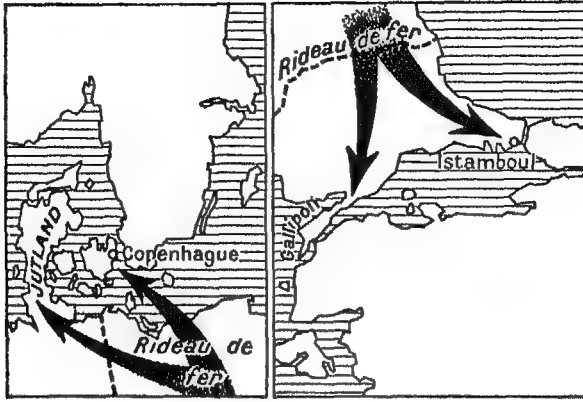
Sund والبيليت Belt من الجهة الأخرى حول الجزر الدانماركية . وتشرف هذه المضائق على الملاحة بل ويمكن ان تمنعها عن طريق اخذها من الخلف وابتلال المرتفعات الجبلية الخارجية . ويمكن احتلال شبه جزيرة جوتلاند وشبه جزيرة غاليولي بواسطة العمليات المحمولة جواً ، ويزيد في سهولة هذه العمليات قربها من القواعد الجوية القريبة من الحدود . ويسمح البحر البلطكي والبحر الأسود للكتلة السوفياتية بتنظيم طرق بحرية عرضانية على طول شواطئها ، وهي اكثر فائدة من الطرق البرية الفقيرة والمعرضة للتهديد في هذه المناطق . وإن خسارة المضائق ستعني اذن حرية انطلاق الاساطيل السوفياتية للمحيطات وامتداد هذه الطرق العرضانية لدعم التعرض البري نحو فرنسا (اي باتجاه اوربا الغربية) .

وفي النسق الثاني هناك قلعتان متناظرتان تلعبان نفس الدور الذي تلعبه شبه جزيرة اسكندنيا فيا وشبه جزيرة آسيا الوسطى ، وهاتان القلعتان هما : الجزر البريطانية وكتلة المغرب العربي (شمال غرب افريقيا) ، وهما تشرفان على مجموعة ثانية من المضائق مثل جبل طارق ، والبادوكالية ، وإلى الشمال ، المرات المحيطة بایسلندا (حيث يمكن للمناخ الرديء والجليد والألغام البحرية تحويلها الى مضائق حقيقية) .

وهما بالاضافة الى ذلك تشكلان حاملات طائرات عملاقة ومراكز للحشد ومحطات تناوبية للتموين والشؤون الادارية . . الخ . .

وسوف نكتفي بالإشارة الى اشباه الجزر والجزر الثانوية التي تبيّن مما سبق أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه في الصراع العالمي : فقد سبق وذكرنا دور كل من شبه جزيرة ايطاليا والكوئانتان ، ويمكن الآن أن نضيف اليها شبه جزيرة اليونان حيث استطاع الألمان في الحرب العالمية الثانية أن يهددوا منها قنال السويس ، أما الجزر المجاورة للقارة مثل جزيرة غوتلاند وبورنهم في بحر البلطيك ، وجزر البحر الأبيض المتوسط . فينقصها البعد والمساحة في اطار الاستراتيجية النووية العامة ، وفي هذه الحالة يمكن أن تحمل محلها جزر الحزام الداخلي .

وتحتفظ هذه الجزر بكامل أهميتها في اطار الاستراتيجية الإقليمية التي تطبق



شكل رقم - ٧ -
التشابه بين المضائق الشمالية والمضائق الجنوبية

في حالات الحرب المحدودة وحتى في حالة الحرب الشاملة عندما تكون تكاليف الصدمة الأولى عالية لدرجة خيالية يضطر معها الأطراف المتنازعة الى الاقتصاد بالاسلحة الحديثة، واللجوء إلى الحرب الكلاسيكية. وعندئذ سيعود للبحر الأبيض المتوسط أهميته ودوره التقليدي الذي يعزز دور البحار الداخلية بطرق المواصلات الكبرى والقصيرة التي تؤدي الى الشرق الأوسط والشرق الأقصى. وهناك عامل جغرافي هام يتكون من «مراكز القوى» الاقتصادية والستراتيجية التي تعتبر بدورها اهدافاً رئيسية للستراتيجية. ومن هذه المراكز: المناطق الزراعية الغنية، المناطق الزراعية في أوروبا، وبعض المناطق التي جعلتها مميزاتها الطبيعية في مصاف ميادين المعركة التقليدية، ولا بد لهذه المناسبة من الإشارة الى منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص باعتبارها نقطة اتصال من ثلاث قارات ومستودع للبترول ومفتاح اساسي للحروب الطويلة. إن هذا الاستعراض السريع للجوانب الجغرافية الاستراتيجية لمنطقة

الأطلسي، وبشكل خاص لأوروبا، لا يسمح إلا بتحديد بعض العناصر التي تتحكم مع غيرها بالستراتيجية. وكله على كل حال يكفي لاستنتاج خلاصتين عامتين:

- الأولى: هي عندما تجري الحرب على الأراضي الأوروبية بين القوة القارية والقوة البحرية. في هذه الحالة تكون المناورات على الأجنحة مفيدة للطرفين. فالقوة البحرية لا يمكن أن تنهي اندفاعاتها الأولى إلا بعد الالتفاف من الشمال عبر اسكندنيا فيا حتى انكلترا، ومن الجنوب عبر البحر الأبيض المتوسط حتى المغرب.

أما القوة البحرية فلا يمكن أن تقضي على خصمها الذي يتمتع بعمق لامتناه عملياً، إلا بهجمة أجنحته بعمليات قصيرة، وباحجام أقل من عمليات التعرض المركزي الضخمة التي برهن التاريخ بأن طلائعها الامامية البعيدة غالباً ما تفقد حيويتها وتمتصها الشاسعة كما تمتص آخر موجات من تيارات الرمال^(١٥).

- والثانية: هي ان تنظيم الجيوش الحديثة وتسليحها يجب أن يتلاءم مع الظروف القائمة أو المحتملة. وفيما عدا القوات المجهزة تجهيزاً قوياً بالأسلحة الحديثة والتي تقتصر مهمتها على الدفاع خلال الصدمة الأولية للحرب، فإن بقية القوات فيجب أن تكون «قوات برمائية». . بالمعنى الحرفي للكلمة وهذا يعني أنه يجب أن تكون قادرة على العيش والقتال في الجو وبحراً للعمل على الأجنحة وفي اليابسة. لأنه سيكون بإمكانها الانتقال جواً وبحراً للعمل على الأجنحة وفي بدايات البرازخ، وتحت «زعانف» أوروبا وبطنها المترهل.

١٥ - ومن الأمثلة على هذه العمليات، حملة نابليون بونابرت التي وصلت إلى موسكو واضطرت للتراجع تخرجراً اذبال الخيبة في بداية القرن التاسع عشر وكسرت شوكة الجيش الذي لم يعرف الهزيمة قبل ذلك. ثم حملة هتلر في منتصف هذا القرن.

٤ - منطقة المحيط الهادي

تشمل دراسة هذه المنطقة على الأراضي البعيدة جداً مثل ماداغشقر لأن مجموعها يشكل وحدة متكاملة، كما تضطرنا للاكتفاء بالدراسة الموجزة لآسيا وضواحيها حيث توجد المناطق الحيوية الحالية. ونسارع فنشير الى أن الصين - كما سبق وقلنا - ذات طبيعة قارية، ويكفي الاطلاع على آراء الرئيس ماوتسي تونغ الاستراتيجية للاقتناع بهذه الحقيقة. وإذا كانت البلدان الآسيوية الكبرى - باستثناء اليابان - قد حافظت على هذه الميزة، فما ذلك إلا لأن امكانياتها البحرية وسائلها القديمة خلال فترة طويلة من الزمن ضمن اطار النشاط الحرقي، رغم غزارتها الهائلة.

كما تجدر الإشارة الى أن الحضارة الغربية، أو على الأقل تقنيات هذه الحضارة، دخلت آسيا عن طريق البحار وجعلت من اليابان، البلد الديناميكي، قوة بحرية من الدرجة الأولى. وهيات للبلدان الأخرى الفرصة للسير على منوالها لتصبح قوى ذات شأن أيضاً.

ولا نرى ضرورة للحاح على دور الأحزمة المحيطية، لأنه يشبه دور مثيلاتها في المنطقة الأطلسية. ويكفي القاء نظرة على خريطة آسيا لئلا يشبه الجزر والجزر التي تشرف على الطرق البحرية وممرات لمضائق. غير أنه من المستحسن الإشارة الى استمرارية الارخبيلات التي تتتابع لتشكيل نوعاً من الرصيف الممتد من جزر عدمان ADAMAN في خليج البنغال، حتى جزر الكوريل التي تلامس شبه جزيرة كامشاكا السوفياتية.

وتعتبر اليابان نفسها جزءاً من هذا الرصيف أو المكسر الحاجز، وهو في نظرها «السور العظيم» الذي كانت تنوي بسط هيمنتها في داخله وتحقق ماكانت تسميه بـ«آسيا الكبرى».

ونقسم القارة الآسيوية الى قسمين بواسطة سلسلة جبال هيمالايا الهائلة، والتي تكملها في الغرب «جبال سليمان» الواقعة في باكستان الغربية. وعلى امتداد هذه الاستطالات الجبلية توجد بعض «المعابر الكبرى» مثل الهندوس. والميكونغ.



شكل رقم - ٨ -
حاجز جبال هيمالايا وأقفاله (أو منافذه)

وهذه المنطقة المسورة تضم في داخلها آسيا الجنوبية الثمينة ، والتي تتألف من : الهند ، وبورما (وبنغلادش أو الباكستان الجنوبية سابقاً) . وماليزيا ، وسيام والهند الصينية بالإضافة الى اندونيسيا والفيليبين . وإلى الشمال والشرق من جبال الهيمالايا تقع البلاد الشيوعية^(١٦) . المعروفة بمناخها القاسي وشعوبها القوية الشكيمة . التي تتطلع دائماً للغزو ، وتمتد هذه المنطقة حتى المقاطعات البحرية الصينية التي تحجزها الجبال من جهة وعجزها البحري من الجهة الثانية . غير أنها تملك ممرين هامين احدهما باتجاه نهر الهندوس وتشرف عليه الباكستان (ومن هنا تبرز أهمية المعاهدة المركزية التي تربط الباكستان ببقية العالم الحر عن طريق تركيا وايران وانكلترا) . والآخر الى الشرق باتجاه نهر ممر الميكونغ الذي يمكن بلوغه بالالتفاف حول جبال آنام من الجنوب باتجاه سايفون بواسطة الطريق شمال تونكين ولاووس العليا التي يشرف عليه موقع «ديان . . بيان . . فو»^(١٧) .

١٦ - بعد انسحاب القوات الامير يكية من شبه جزيرة الهند الصينية اصبحت هذه المنظمة الشيوعية تمتد إلى جنوبي جبال هيمالايا .

(المغرب)
١٧ - تظهر هذه الدراسة الأهمية الاستراتيجية لموقع ديان بيان فور والمعركة التي دارت فيه بين القوات الفرنسية وقوات فيتنام الشمالية عام ١٩٥٤ وانتهت بانتصار الفيتناميين واستسلام الحاجة الفرنسية واصبح الطريق إلى جنوب شبه جزيرة الهند الصينية مفتوحاً .

(المغرب)

ولعل من ابرز معالم السياسة الدولية في السنوات الأخيرة، هي أن الاهداف الجغرافية السياسية في هذه المناطق أصبحت موضوع استراتيجية السلم التي تهدف السيطرة السياسية على جنوبي شرقي آسيا عن طريق تشجيع الروح القومية واثارة الكراهية للاجانب، بل وعن طريق اثارة الحروب الثورية الاقليمية التي كان من أهمها حرب كوريا وحرب فيتنام .

وسيكون الامر كذلك في حالة نشوب حرب عالمية شاملة : فاليابان لا يمكن الا ان تنحاز إلى احدى الكتلتين والا فستعرض نفسها للاحتلال بعمليات جوية . بانتظار الفترة التي ستكون فيها القوة البحرية - السوفياتية أو الصينية قادرة على فرض سيطرتها على المحيط الهادي .

أما آسيا الجنوبية : فيمكن أن تسيطر عليها الهند الصينية سياسياً وعسكرياً اذا لم تسبقها الى ذلك باكستان . (بالتعاون مع الحلف المركزي) . هذا مع العلم بأن هذه المنطقة . مرتبطة بالعمليات التي ستجري في منطقة الشرق الأوسط الذي اشرنا الى أهميته الاستراتيجية البالغة عند الحديث عن المنطقة الاطلسية (أي الغرب) .

وبعد ذلك يأتي دور اندونيسيا والفيليبين .

ولا مجال في هذه الدراسة لتعريض الاستراتيجية الدفاعية التي يجب على العالم الغربي وضعها لاحتباط الاهداف التوسعية للكتلة الشيوعية في زمن السلم وفي زمن الحرب . فهذه الاستراتيجية تمليها اعتبارات جغرافية سياسية ، كما يملئها الترابط العضوي للاحداث من أقصى اطراف الكرة الأرضية الى ادناها، ويجب أن تقوم على الانسجام التام الذي كانت تفتقر له دائماً .

٥ - منطقة المحيط المتجمد الشمالي

لقد اعطت الوسائل الحديثة لهذه المنطقة من العالم أهمية كانت خيالية في الماضي . وهذا فإن الواقع الراهن يقضي باعطائها مكانها في هذا البحث يتناسب مع الأهمية الجديدة التي اكتسبها . والخريطة الاستراتيجية (المنشورة على ص ١٢٣

تظهر على جوانب هذه المنطقة القطبية اجزاء من امريكا الشمالية ومن اوراسيا مما لم يكن له أية قيمة في الماضي عندما كان القطب الشمالي منطقة يستحيل اختراقها عملياً؛ كما كانت المناطق المحيطة به غير صالحة للاستثمار، غير أن ذلك لم يعد وارداً في هذه الأيام .

فالطائرات تحلق يومياً فوق المناطق القطبية وتقطعها بخطوط مستقيمة، كما أمكن إقامة قواعد جوية في آلاسكا، وغروثلاند، وسيبيريا، وهي تعمل بشكل طبيعي كمطارات ومهابط استراتيجية . كما ظهر أن هذه المناطق تخفي في باطنها خزانات هائلة من المعادن المتنوعة والبتروول وقد بوشر باستثمار بعضها فعلياً واقيمت فيها بعض المنشآت الصناعية الهامة .

ومنطقة القطب الشمالي تشكل بحراً يغطيه الجليد تغطية كاملة، ولكن جليده قليل السماكة ومياهه على العكس عميقة جداً، مما يسمح للغواصات النووية التي تستطيع الغطس لفترات طويلة، بأن تمخر تحت الجليد وان تخترقه كلما ارادت لتطفو فوق سطح البحر في المكان والزمان الذي تريده، ولذلك يصعب كشفها وبالتالي تصعب اصابتها عملياً، بينما يكون باستطاعتها اطلاق قذائفها ذات الرؤوس النووية الى مسافات تزيد عن ٣٠٠٠ كم كما تفعل في المياه الحرة . وأن نظرة عاجلة للخرائط تكفي للملاحظة بأن منطقة المحيط المتجمد الشمالي تسمح بالاقتراب من السواحل السوفياتية وبالتالي اصابة اهداف أكثر بعداً داخل القارة .

وأخيراً لا بد من ذكر الطريق البحرية للقطب الشمالي الذي يحاذي الشواطئ السوفياتية، وأهمية هذا الطريق المتزايدة بالنسبة للاتحاد السوفياتي خاصة مع تطور الوسائل الحديثة التي تساعد على تعزيل الجليد في الشتاء وخاصة منها كاسحات الجليد النووية .

الفصل السابع

عناصر استراتيجية المستقبل

«الاستراتيجية هي فن اختيار نقاط تطبيق
القوة»

لينين

إن الجغرافية - الاستراتيجية المستندة على الجغرافيا - السياسية ، ليست
بالطبع سوى عنصر من عناصر الاستراتيجية العامة .

والحرب ليست اطلاقاً من شأن العسكريين وحدهم . والقرارات
الاستراتيجية هي دائماً من صلاحيات واختصاص السلطة السياسية .

وان الاستعداد للحرب شأنه كشأن تنفيذها يجب أن يأخذ بعين الاعتبار
تطور الأشياء والوسائل المتنوعة والتقدم في جميع الميادين كما يتطلب المعرفة الدقيقة
للخصم المحتمل على جميع المستويات . ومع ذلك فإن تعريف لينين للاستراتيجية
يبقى صحيحاً لأنها تقدم المساعدات الثمينة على الصاعدين المادي والانساني .

١ - المعطيات الاساسية للاستراتيجية : ان التنبؤ لايعني الاختراع بل يعني
تصور النتيجة التي تقترن بها الاحداث في لحظة معينة من التطور والاتجاهات
الجارية أو المتوقعة انطلاقاً من المعطيات القائمة .

وسنحاول اذن قبل كل شيء تلخيص النتائج السابقة فيما يلي :
آ - المبادئ الاستراتيجية تبقى صالحة ، اما ما يتغير فهو الاساليب والتقنية /
والمعايير .

ب - يبقى نفوذ العوامل الجغرافية الطبيعية على حاله . ولكن آثاره يمكن
ان تتبدل بتبدل الوسائل الجديدة . أما بقية عوامل الجغرافيا - السياسية فتزداد
اهميتها يوماً بعد يوم .

ج - ما من بلد يستطيع التطور الآن بالاعتماد على نفسه فقط ، وما من بلد
يستطيع الدفاع عن نفسه منفرداً ، ولذا فقد اصبحت «التجمعات الدولية»
ضرورية في السلم كما في الحرب .

د - ان الحياة والدفاع مرتبطان مباشرة بحرية الحركة أي بطرق المواصلات
والنقل الداخلي والخارجي .

هـ - وقد أصبح للاستراتيجية في هذه الأيام ثلاثة أشكال هي :
الاستراتيجية الوطنية ، استراتيجية الاحلاف ، والاستراتيجية الكونية .
والشكلاان الاولان يمكن ان يكون بينهما بعض التعارض ولذلك فإن القوة الخاصة
لبلد ما في أي من الاحلاف ، تكون في حدود امكانياتها الذاتية .
و - ليس هناك «حماية مطلقة» ضد هجوم نووي شامل قد تتعرض له بلد ما
بشكل مفاجيء وخاطف . ولهذا يمكن «للقوة الرادعة» ان تلعب دوراً فعالاً ،
ولكنها لا يمكن ان تمنع «الحروب المحلية» اذا لم نقل بانها تشجعها .

لم يعد للحروب نهاية واضحة تليها مباشرة معاهدة صلح يحترمها الجميع
الا في حالات نادرة جداً ، وغالباً ما تتبعها الحروب الأهلية والمقاومة بأنواعها ، التي
ترفع راية المبادئ الايديولوجية فتفتح المجال لانفجار الحرب من جديد أو
استمرارها بشكل جديد ، ولهذا أصبح من العسير جداً «كسب معركة السلاح» .

٢ - اسباب الحروب Casus Belli

والاعداء المحتملون : ان احتلال الاراضي أو طرد الخصم منها واحتلالها
من جديد يفرض ضمها نهائياً . كان لمدة طويلة الهدف الطبيعي للحروب ، وكان

بالتالي السبب الرئيسي لهذه الحروب. وهذا ما يحدث بالفعل في الأيام الحاضرة بين البلدان الحديثة الاستقلال؛ المشاكل مشابهة لتلك الاوضاع في البلدان القديمة. ولكن ذلك لا يمكن ان يحدث الآن بين البلدان العريقة المتطورة. لأن القوة الحقيقية أصبحت تبني على اسس اخرى وتتدعم خارج الأراضي الوطنية، وخاصة بالاشراف على بلدان اقل قوة وأقل تطوراً. هذا بالإضافة الى ان الاسلحة النووية تشكل اليوم خطراً دائماً يهدد بالدمار الشامل، ويزداد خطرها بالنسبة للأمم الصناعية الكبرى.

وأصبح «توازن الرعب» من الحقائق الراهنة المميزة لعصرنا الذي نعيش فيه. ولهذا السبب بالذات تضاءلت احتمالات نشوب الحرب الشاملة اللهم الا اذا فجرتها الصدف أو التطور العنيف غير المتوقع لاحدى الحروب الاقليمية، تلك الحروب الواسعة الانتشار في هذه الأيام، وليس من المتوقع زوالها على المدى القريب، لأن الهدف منها اسقاط بعض الخصوم أو وضعه تحت النفوذ المباشر. ويجري هذا الصراع على الاشراف السياسي والاقتصادي والستراتيجي تحت رايتين ايديولوجيتين متناقضتين هما: الراية الليبرالية - والراية الماركسية.

وهكذا نرى أن الظروف التي يمر بها العالم حالياً تنطوي على الكثير من المخاطر، لأن الدول العظمى تبحث عن «مواقع قوة» لتقف في مواجهة بعضها البعض في مناطق كثيرة في سطح الكرة الأرضية وخاصة في النقاط الحساسة مثل البحر الكاريبي والشرق الأوسط والبحر الابيض المتوسط، وجنوب شرقي آسيا. . الخ. ومن ناحية ثانية فإنها تجد نفسها مسوقة بارادتها أوبقوة الاشياء لدعم الاطراف المتنازعة وبذلك تطيل الحروب بوسائل ملائمة للايديولوجيات (حرب العصابات من جهة، الحرب المضادة للعصابات من الجهة الأخرى).

وعلى هذا الاساس يؤكد الرئيس الراحل ماوتسي تونغ أنه «ليس هناك سوى نوعان من الحروب هما الحرب الثورية والحرب المضادة للثورة».

و«التعايش السلمي» هو خط سلوك سياسي معترف به حالياً، وخاصة من قبل الدولتين الاعظم في مواجهتهما لبعضهما البعض، ولكنه لا يشكل الضمانة

اللازمة والكافية لالغاء الحروب العامة والثانوية نهائياً، ذلك أن الخوف النووي (او توازن الرعب) هو الذي فرض هذا التعايش، ولكنه لم يبرز أي مبدأ بناء للسلام يمكن أن تجتمع حوله البلدان في اطار متبادل من الثقة الكاملة، وهو على العكس يمكن أن يؤدي الى تقاسم النفوذ على العالم بين الكبيرين سرّاً أو علانية، الامر الذي سيكون بمثابة «تواطؤ» أو تفاهم تفرخه القوة وبالتالي فإنه سيكون مؤقتاً حتماً.

هذا بالإضافة الى ان الصين، وهي اليوم دولة عظمى، رفضت الاعتراف بهذا التعايش السلمي وتتساءل ما هي التضحيات والتنازلات التي يجب أن تخصص لها من أجل الموافقة عليه وعلى حساب من ستكون هذه التضحيات؟؟ واخيراً فإن «التعايش السلمي» لا يمكن أن يحول دون وقوع الحروب الثانوية اذا لم يشجعها - كما قلنا - بسبب توازن الرعب النووي نفسه.

والحقيقة، لقد انقضى الزمن الذي كان يمكن فيه التنبؤ بشكل أكيد تقريباً، بالحروب المقبلة وبالأطراف التي ستشارك فيها عند نشوبها على الأقل. ذلك ان الأهداف التي تسعى اليها الدول - الكبرى خاصة - أصبحت واسعة ومعقدة وغير واضحة، وهذا يعني أنه يمكن اخفاؤها بسهولة. ونحن نعلم أنه من الممكن الوصول اليها غالباً دون اللجوء الى الحرب المكشوفة. وفيما عدا ذلك فإن «توازن القوى» يكون أحياناً أكثر حساسية مما يبدو، وقد يتجاوز الاطار القومي (الاطار الوحيد المتناسك)، كما يمكن أن تتبدل «أوزان» الدول ضمن هذه الاحلاف حسب تطور قوتها الذاتية (وحيازتها على السلاح النووي مثلاً).

واخيراً فإن المشاكل الديمغرافية يمكن أن تقلب المعطيات وتتحدى التسويات المؤقتة القائمة.

ومن زاوية أخرى يجب أن نعترف بأن الاهداف العالمية للثورة الماركسية لم تكن مستنكرة اطلاقاً كما لا يمكن أن تصبح مرفوضة في المستقبل ومع ذلك سيقى التناقض الاساسي بين الكتلتين على حاله وبجميع مضاعفاته. وان النزاع

الصيني - السوفيياتي الذي يُقال عنه بأنه «عقائدي» لكن التاريخ والحقائق الجغرافية السياسية تذكرنا بأنه يرجع أيضاً لأسباب مختلفة ملموسة وهي بلا شك أكثر خطراً، ومع ذلك يصعب التأكيد بأن الايديولوجية المشتركة لم تعد قادرة بين الصين والاتحاد السوفيياتي ولو لفترة محدودة ضد عدو مشترك .

واخيراً فإن «العالم الثالث» لا يشكل كياناً متماسكاً ولا يمكن اعتباره «كتلة ثالثة» في التوازن العالمي ، بل هو على الأرجح معرض للانقسام والتمزق مع احتمال نشوب حروب داخلية بين بعض دوله .

٣ - الشروط العامة : ان الاطار الجغرافي هو الاطار الخاص بالمناطق التي حددت في الجزء السادس الا انه لا بد من متابعة تجدد معلوماتنا عنها باستمرار وذلك بدراسة الأمكنة التي تتغير أهميتها والفائدة منها مع استمرار التقدم وان تستخلص النتائج والدروس من الاحداث التي تضع فيها بين الحين والآخر .

والواقع أن «القيمة الذاتية» للمناطق كلها يمكن ان تتبدل ، فالاسكا أصبحت من المناطق الحيوية ، والبحر الأحمر تضاءلت أهميته عندما فقد بعض قيمته كشریان عالمي^(١) . كما فقدت بعض مناطق المناجم الأهمية التي كانت لها في الماضي . ومن ناحية أخرى هناك مناطق مفتاحية تفقد قيمتها بسبب الاحداث والحروب عندما تبدل ولاءها ؛ وهذا شأن المغرب الذي كان لفترة طويلة بمثابة قلعة خارجية للأمن الاوربي .

وقد سبق أن أشرنا أيضاً في هذا الاطار الى «احجام» الدول الكبرى ، وبالتالي اضطرار كل منها للحصول على امكانيات الضرب من مسافات كبيرة - وسواء أكانت الحروب نووية كلياً أو جزئياً ، أم كانت كلاسيكية - الامر الذي جعل

١ - صحيح أن اغلاق قناة السويس بسبب العدوان الاسرائيلي أثر على أهمية البحر الأحمر موقعاً ولكنها ما لبثا أن استعادا مكانتهما فور استئناف الملاحة في القناة بل لقد أظهرت النزاعات في القرن الافريقي المكانة التي للبحر الأحمر على مستوى الاستراتيجية الكونية .

القوات الجوية والبحرية اساسية في هذه الحروب ، على الرغم من أن القرار النهائي لا بد وان يتجسد على الأرض .

وتتدرج الحرب الحديثة ابتداءً من الصواريخ النووية التي تقذف من قواعد ثابتة أو متحركة على الأرض ، أو من الغواصات المتحركة تحت الماء ، أو من الطائرات المنطلقة من القواعد الأرضية أو من فوق حاملات الطائرات وتنتهي بطيران النقل وسفن الانزال . وان انتشار هذه الوسائل واستخدامها يتطلبان نظرة جغرافية استراتيجية كاملة للعالم على الرغم من أن الحرب النووية الشاملة حدثت من التوسع الطبيعي للعمليات الحربية .

وهذه النظرة يجب أن تبنى على المعرفة العميقة للعلوم والتقنيات كعلم الانواء ، وعلم البحار وتطبيقات الكيمياء بأنواعها والالكترونيات . . الخ .

وان ابتعاد الدول الكبرى عن بعضها يعرض للخطر البلدان التي تفصل بينها وخاصة في اوروبا علماً بأن التدمير النووي لهذه البلدان الوسيطة لن يكون حاسماً بالنسبة للحرب الكونية الشاملة . التي تستلزم تبادل القصف النووي المباشر بين الدولتين العظمتين المتحاربتين ، بينما يمكن وضع هذه البلدان بسرعة تحت الاشراف السياسي والاقتصادي وذلك بوضع الخصم امام الامر الواقع .

ولما كانت الارض بحد ذاتها لم تعد هدفاً للحرب ، بل أصبح الهدف الأساسي هو استثمار الموارد والوسائل التي أوجدتها الانسان على هذه الارض ، فمن الخطأ تدمير البلدان الوسيطة ، وعلى هذا الاساس يمكن أن نفهم الخلفيات التي تحدد القوة القارية (اي الاتحاد السوفياتي) للاحتفاظ بقواته الكلاسيكية وتجديدها وتزويدها بالقوى الجوية والآليات التي تعطيها قدرة هائلة على الاختراق^(١) . كما يمكن ان تفهم المبررات التي تدفع مجموعة الدول الوسيطة أي

٢ - في السنوات الأخيرة ظهرت دعوة جديدة في الدول الغربية ينادي بها الخبراء العسكريون ، تنادي بضرورة تعزيز القوات الكلاسيكية بشكل يمكنها من الصمود في وجه الهجوم المحتمل الذي يمكن أن يشنه حلف وارسو على أوروبا الغربية دون اللجوء الى استخدام الاسلحة

دول اوربا الغربية ، لامتلاك القوة اللازمة لايقاف المهاجم في قفزته الأولى والاعتماد اساساً على الاسلحة النووية التكتيكية التي اصبح استخدامها مباشرة شيئاً حيوياً.

وأخيراً فإن هذه البلدان متضامنة الى حد بعيد لأن أي منها لا تملك الابعاد الضرورية من طبيعية وغيرها لكي توقف مثل هذا الهجوم^(٣).

وبعد أن استعرضنا ما يتعلق بـ «الردع النووي السراتيجي» لابد من اضافة ملاحظتين هامتين في هذا المجال :

الاولى ، تتعلق بالمفاجأة الأولية : باعتبارها العنصر التقليدي للنجاح ، لأنه لم يعد لها أي نصيب لكي تلعب نفس الدور في الماضي ، وذلك لأن شبح الحرب النووية أصبح رهياً الى درجة يبدو معها أن أية حكومة حتى ولو كانت دكتاتورية لا يمكن أن تقدم على شن هذه الحرب وتعرض حياة الملايين من الناس للابادة دون اللجوء الى اعداد نفسي شديد لايمكن اخفائه .

والثانية : أن «قوة الردع» ستبقى دائماً فعالة بالنسبة للدول الكبرى البعيدة عن بعضها ولكنها أقل فعالية بالنسبة للبلدان المتوسطة خاصة عندما يصل العدو

النووية بما في ذلك الاسلحة النووية التكتيكية . وقد اجريت المناورات المتعددة في قلب أوربا وعلى غيباتها من الشمال والجنوب لاختبار قدرة قوات حلف الأطلسي الكلاسيكية على القيام بهذه المهمة : وتقرر على أساس هذه المناورات رفع ميزانيات الدفاع في دول الحلف ومضاعفة قواتها المدرعة والاسلحة المضادة للدروع . والطائرات بشكل خاص على ضوء الدروس التي استخلصت من حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ .

المغرب

٣ - يمكن تفسير الضجة التي قامت في بداية عام ١٩٧٨ حول انتاج القنبلة الترونية ، كسلاح نووي تكتيكي . بعد أن علمت أصوات بعض الخبراء العسكريين في الغرب بالتحذير من عدم قدر القوات الكلاسيكية في غربي اوربا على وقف الهجوم المفاجيء المحتمل الذي يمكن أن يشنه حلف وارسو . (المغرب) .

بسرعة الى حدودها بعد ان يكون قد احتل دولة او دولتين غيرها ، وهذه الحالة يصبح استخدام «الردع الفردي» حلاً انتحارياً .

وهاتان الملاحظتان تظهران أيضاً ضرورة الوحدة الصادقة الوثيقة بين اعضاء الاحلاف ، كما تظهران ايضاً المخاطر المترتبة على «صيغة الرد المكيف» ضمن هذه الاحلاف^(١) .

اما حالة الصراع المحتمل بين الصين والاتحاد السوفياتي فتمتاز بصفات خاصة ، لأن لهما الدولتين حدوداً مشتركة ، بالإضافة الى أن اتساع مساح العمليات الآسيوية والمسافات الشاسعة في هذه القارة تشكل عقبات كأداء خاصة بالنسبة للسوفييت الذين سيكون عليهم في مثل هذه الحالة ان يفعلوا كل شيء لضمان الهدوء على الجبهة الغربية أو أن يفتشوا فيها على المساعدات . أما الصين فيبدو أنها أقل حساسية للتدويرات النووية .

ولكن بصرف النظر عن تبادل الضربات النووية فقد تنشب بين الطرفين معارك قارية غامضة ومتذبذبة ، فالاتحاد السوفياتي يملك ورقة جدية رابحة بفضل مواقعه القوية على شواطئ المحيط الهادي يمكن منها تهديد العاصمة بكين والمناطق الصينية الحيوية . وهنا أيضاً تلعب القوى الجوية والبحرية دوراً هاماً حتى في هذه الحرب ذات الطابع القاري .

واخيراً فإننا لا نستطيع في هذه اللحظة الموجزة توسيع بحثنا ليشمل الحالات المتعددة التي تترتب على حروب أقل أهمية ؛ ولكنه يبدو لنا أنها ستجري بنفس هذه العقلية .

٢ - تشابك الاستراتيجيات الوطنية : رأينا كيف أن الدول تضطر في هذه

٤ - كان الجنرال ديفول أو من اعترض على «الاستراتيجية النووية العامة» التي وضعها الخبراء العسكريون الأمريكيون . ومن ضمنها هذه الصيغة التي سُميت بـ «الرد المكيف» Rupesteadaptée لأننا قد تترك أوروبا الغربية تحت رحمة القصف النووي من الطرفين دون أن يصل ذلك إلى درجة تبادل القصف النووي المباشر بين موسكو وواشنطن . (المعرب) .

الأيام للتجمع في زمن السلم كما في زمن الحرب ، ولذلك فإن الاستراتيجية الوحيدة الفعالة هي استراتيجية الحلف التي تشكل وحدة متماسكة حيث يلعب كل عضو دوره . وان مصلحة الحلف هي بالطبع أن تكون كل دولة عضوة فيه قوية بقدر الامكان ، ولكي يصل الى هذه النتيجة على أحسن وجه سيكون على كل بلدان يرضى ببعض «التخصص» الذي يتلاءم مع امكانيات وموقعه ، وهذا يعني ضرورة «تكيف» تشكيل وتنظيم وتسليح قواتها بموجب هذا التخصيص . ومثل هذا التماسك يستلزم تكاملاً شاملاً كما يستلزم حداً معيناً من التنازل عن السيادة الوطنية تتناسب مع هذا التكامل .

ومن الجدير بالذكر أن هذه المرحلة (أي التنازل عن السيادة الوطنية) لا تزال بعيدة عن التحقيق في الكتلة الغربية لأن الدول الحرة لا تتنازل عن استقلالها السياسي ولا عن المصالح والمسؤوليات التي تعتبرها من اختصاصها وحدها ، وبالتالي فإنها لا تقبل التنازل عن الوسائل التي تؤمن لها الدفاع عن مصالحها خارج الحلف .

ولذا نلاحظ أن الدول تحتفظ بقوتها العسكرية الوطنية وتجدها باستمرار طبقاً لمستلزمات المهام التي قد توكل إليها في الغرب أو في العالم الثالث وتسعى هذه البلدان لتكون اسلحتها الباهظة التكاليف قادرة على خدمة ستراتييجيتها الوطنية وخدمة الحلف . ولكنه يندر أن تتطابق هذه المصالح وتلك بل وقد تتعارض أحياناً . وكثيراً ما يحدث ان الالتزامات الوطنية تثقل كاهل «مفهوم الحلف الاستراتيجي» لدرجة التأثير عليه . وأخيراً فإن عوامل الجغرافيا الاستراتيجية يمكن أن تبدل أهميتها نسبياً حسب كل حالة على حدة ويتج عن ذلك مشاكل تقنية وسياسية جديدة وعندها لا بد من تبني الحلول الوسط لمواجهة كل وضع .

وان ضخامة وطابع المشاكل الاستراتيجية الوطنية تختلف من بلد لآخر وتتنوع ايضاً حسب الجزء من المصالح الذي يتعرض للخطر في حرب ما . فالقوى الاستعمارية يجب ان يكون باستطاعتها التدخل في مناطق بعيدة ، لأن التحرر من الاستعمار لم يبلغ مسؤولياتها ، فلا تزال لها بعض الروابط والمصالح بأشكال مختلفة

في مستعمراتها السابقة، وهي لا تستطيع الاعتماد على الدعم والتسهيلات التي يمكن ان تقدمها لها هذه المستعمرات السابقة. وكذلك الامر بالنسبة للدولتين الكبيرتين فقد تجد أن نفسيهما في وضع مشابه على أساس واقع قوتها ونفوذها حتى ولو لم يكن لهما الا القليل من الممتلكات الخارجية، بل وقد لا يكون لهما ممتلكات اطلاقاً بالمعنى المعروف في الماضي.

اما الخصومات التي لا بد منها فتترتب على المظهر المزدوج للحالات المماثلة، وهي تستدعي إجراء دراسة خاصة وموضوعية للعوامل الجغرافية الاستراتيجية لكي تستخدم بشكل مرن لا يستدعي استعمالها من أجل الدفاع الوطني وحده وفي حدود البلد بالذات. وهذا يستدعي تشكيل قوة متحركة ومرنة وقوية قادرة على العمل بسرعة فائقة في أي مكان، وهذه هي «الجزية» التي لا بد من أدائها كثمن «لادارة العظمة» على المستوى الكوني لكي تكون حقيقية ومستقلة عن كل ردع نووي.

ومن هذه اللزوميات والضرورات ينشئ «مفهوم قوة التدخل» المؤهلة لعدة انواع من المهام في اطار الحلف وفي الاطار الوطني. كما يجب أن تكون متعددة الكفاءات وسريعة وشديدة المرونة في الاستخدام كما يجب أن تكون على استعداد دائم. ومن الطبيعي أن تكون قوة مختلطة من جميع صنوف الاسلحة وترتبط بقيادة موحدة: والاسطول السادس الامريكي يعتبر مثلاً نموذجياً لهذه القوة لأنه قادر على القيام بأدوار متعددة، فهو قوة نووية ضاربة من ناحية، وقوة لحفظ الأمن (كما حدث في عام ١٩٥٨ عندما تدخل في لبنان)، وقوة ضغط سياسية عسكرية (كما حدث أثناء حملة السويس عام ١٩٥٦).

وتحتفظ الولايات المتحدة الامريكية باستمرار بعدد من قوات التدخل هذه في المحيط الاطلسي، وفي المحيط الهادي ويسلك الاتحاد السوفياتي نفس هذا الطريق تدريجياً.

وأخيراً فإن فرنسا وانكلترا تحاولان اتباع نفس السياسة في حدود امكانيات كل منهما ولن يطول الوقت حتى تلحق بهما الصين ايضاً.

ولكي تبقى في طار موضوعنا يمكن أن نستخلص ببساطة ضرورة اضافة هذه العناصر الجغرافية الاستراتيجية المتغيرة التي تمتاز بها «قوات التدخل» الى العوامل الجغرافية السياسية الثابتة.

٣ - اراء استراتيجية ممكنة : تتوقف كل المفاهيم الاستراتيجية قبل كل شيء على معرفة العدو ومعرفة جيدة، يمكن التوصل اليها عن طريق المعلومات والدراسة المسبقة، وكذلك بالتقدير الصحيح لقواته الذاتية ووسائله. وهناك بعض المبادئ التي يمكن استخلاصها مما سبق :

آ - الاستعداد : وهو الشرط الدائم للنجاح مهما كان شكل الحرب. و النجاة، تتوقف الى حد بعيد على انتشار القوات والاقتصاد والحماية المنظمة للسكان، وهذا يتطلب ترتيبات طويلة لوضعه موضع التنفيذ، ولكنه يجب أن يتمشى مع الاتجاهات اللامركزية الحديثة والاقليمية الخ. . .

وعدا عن ذلك فإن التقدم التقني شرط أساسي للتسليح وهو كذلك جزء مرتبط بالعلوم والصناعة كـ «عامل» و«منشط» لها.

وأخيراً فقد اصبح الاعداد المعنوي للسكان ضرورياً أكثر من أي وقت مضى - ليس بعقلية عسكرية عفا عليها الدهر ولكن من أجل التفهم الواقعي لكل ما يهدد حياته واستقلاله ولاعطائه ارادة الدفاع عنها في جميع الاحوال وتحول التضحيات اللازمة لذلك مهما كانت - وإهمال هذه الناحية يؤدي حتماً الى التبعية على المدى الطويل، اكان ذلك عن طريق السلاح أو بواسطة الصراع الدولي الذي لا يعرف الرحمة.

ولا يمكن القول أن هناك «مفهوماً» استراتيجية نووية» للحروب الشاملة لانه يقوم على نصوص جامدة للاستخدام لا يمكن تعديلها، غير أن هذه النصوص تساعد على ايجاد «استراتيجية سياسة دائمة» تعتمد على «ثقل» البلدان بعضها تجاه بعض، وعلى اختيار الاهداف ومعيار الرشقات النووية. الخ. . . أما الحرب نصف النووية التي تستخدم الاسلحة النووية التكتيكية، والاسلحة الكلاسيكية في وقت واحد، وكذلك الحرب التقليدية، التي لا تستخدم

سوى الاسلحة التقليدية فتحتاج الى «تكتيكات» مختلفة، ولكن الخطوط العريضة لمفهوم الاستراتيجية فيها متشابهة ونستطيع فيما يلي سرد بعض مميزاتها: - السيادة الجوية المحلية هامة على الأقل ولفترة محدودة من الزمن، ويعتبر ذلك شرط لا بد منه لكل نصر عسكري .

- وفي البر يجب أن تتمكن القوى المهاجمة أن تشكل رأس حربة قادرة على الاختراق السريع والعميق . ولنجاح ذلك لا بد من «المفاجأة» التي تعتبر في هذه الحالة العنصر الحاسم . أما أهداف الاختراق المفضلة فستكون المدن ومراكز العدو الحيوية، المناطق التي يمكن ان تأتي منها المساعدات الخارجة: كما يمكن لهذا الاختراق أن يساعد على رد العدو على اعقابهِ من أجل التقدم السريع، تمهيداً لتدمير قواته المتخلفة فيما بعد .

والواقع أنه يمكن تأمين تموين الوحدات المهاجمة عن طريق الجو، خاصة وان العدو سيتردد في محاولة ايقافه باستخدام الاسلحة النووية التي ستؤدي الى تدمير اراضيه نفسها ووسائله وسكانه .

- اما الاستراتيجية الدفاعية فيجب أن تهدف الى تكسير الاندفاع الاولي للعدو وخاصة اندفاع عناصره الامامية، وذلك بهدف التمكن من استخدام النيران النووية التكتيكية بملء قوتها مع تجنب التدمير الذاتي بقوات المدافع المسلحة وسكانه ووسائله .

أما اذا تم احتلال الاراضي فعند ذلك يمكن «تصور» دفاع داخلي يتألف من عدة «نقاط استناد مغلقة» او قنضدية تستند الى المواقع الطبيعية المحصنة، كالكتل الجبلية، ولكن ذلك لن يكون له أي معنى الا اذا توفرت له ثلاثة شروط: الاعداد المسبق معنوياً ومادياً واستمرار القتال لفترة طويلة ما أمكن، وأخيراً ضمان تدخل قوات صديقة، وهذه لا يمكن أن تأتي الا اذا كان هناك حلف عسكري وسياسي جدي ومتين . وهذا يعني على مستوى القارة الاوربية، وجود حلف متين بملك قوة بحرية كافية .

الخلاصة

من المؤكد أن هذا الكتيب ليس في مستوى المشاكل الهائلة والمعقدة التي يتعرض لها ، والتي تتحكم في مستقبل العالم . وإن اقصى ما يطمح له هولفت الانتباه لبعض وجوه هذه المشاكل واطهار صلاتها في «تركيب» عام جداً ، ولكنه (أي الكتيب) على أساس «رؤية خاصة للأشياء» ، هو أبعد ما يكون عن ادعاء التنبؤ بالمستقبل . ويمكن ان نستخلص من هذا التركيب عدداً من الأفكار على شكل خلاصة .

لقد اظهرت لنا الجغرافيا - السياسية والجغرافيا - الاستراتيجية وجوب عدم النظر للعالم كلوحة تزينها دول مفصولة عن بعضها بخطوط تسمى الحدود ، بل كمنظومة مؤلفة من مجموعات كبيرة دائمة التطور ضمن اطار توازن مؤقت ، وإن استقرار هذا التوازن وامكانية التحكم بتغيراته يعتبر معياراً لفرص السلام والتقدم الانساني .

وقد اظهرت الوقائع من جانبها أن هذه المجموعات نفسها توزع على شكل «قبيلتين» تقفان بمواجهة بعضهما البعض فوق الكرة الأرضية بكاملها بسبب عوامل طبيعية وبشرية متنوعة ، وايدولوجيات متعارضة جذرياً . ويرتدي صراع هاتين القبيلتين اشكالاً متعددة ، ويستخدم وسائل متنوعة جداً منها الحرب الباردة والحرب الساخنة ، والنزاعات بأشكالها المختلفة ، والتعايش السلمي ، واستخدام السلاح والمال والايدولوجيات .

وفي كل الحالات يبقى الهدف الدائم هو تمزيق «القبيلة المعادية» بقلب عناصرها واعضاءها الواحد تلو الآخر. وقبل كل شيء أولئك الذين يشغلون «مناطق مفتاحية» أو نقاط اتصال في العالم.

والعالم الغربي لم يستطع حتى الآن القيام الا «بعمليات اعاقه» تتخللها مراحل مريرة، أو على أحسن حال «توقفات» كما حدث في كوريا وكوبا، ويجد نفسه «أي الغرب» في موضع المتهم «خطأ أم صواباً» على الصعيد الايديولوجي، وهذا يشكل معوقاً رهيباً لتحركاته في هذا الصراع.

ولقد حان الوقت، وأصبح الآن ممكناً أن تؤدي عوامل الجغرافيا - السياسية والميول الطبيعية وظائفها العادية فتغير «منحى الأحداث». وقد حدث مثل هذا التحول بالفعل، كما ظهرت بعض المؤشرات التي تدل على امكانية التحول حتى في قلب القبيلة الماركسية نفسها.

اما بالنسبة لفرنسا فإن حضارتها، واحتياجاتها وأمنها تجعل مكانها الطبيعي في جملة العالم الغربي، وان انحسارها الى حدود «مضلعها السداسي» لا يغير شيئاً بل على العكس لأن ذلك يجعل منها عنصراً من أوروبا الغربية، ومكانها سيحسب له الحساب في القارة الاوربية كلها وفي العالم أجمع اذا ما احسنت استثمار وضعها وسمعتها، ولأن موقعها والاشعاع العالمي الذي ورثته من ماضيها، تمكنها أن تكون بنفس الوقت الرثة التي تتنفس منها أوروبا، والقاعدة التي اليها في المستقبل «الوحدة الاوروافريقية» التي تملئها قوة الاشياء.

واذا كانت «سياسة العظمة» قد أصبحت مفتوحة أمامها فمن واجبها أن تسلك هذا الطريق المزدوج:

طريق غرب أوروبا، والطريق الافريقي المحيطي.

الفهرس

٥	تقديم
٩	المقدمة
١٣	الجزء الأول: الجغرافيا السياسية
١٥	الفصل الأول: لمحة تاريخية
٣١	الفصل الثاني: ميزة مجال الجغرافيا السياسية
٥٥	الفصل الثالث: الطابع الجغرافي - السياسي للعالم الحالي
٨٣	الجزء الثاني: الجغرافيا الاستراتيجية
٨٥	الفصل الرابع: تطور الاستراتيجية
٩٩	الفصل الخامس: محاولة لدراسة الاستراتيجية
	الفصل السادس: الوجه الجغرافي - الاستراتيجي
١١٧	للعالم الحالي
١٤٣	الفصل السابع: عناصر استراتيجية المستقبل
١٥٥	الخلاصة

صدر عن الأهالي

- ١ - النباتات الطبية واستعمالاتها
- ٢ - المعنزة والفكر الحر
- ٣ - ساعة الشؤم (رواية)
- ٤ - من الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان
- ٥ - والليل الذي يسكنني (شعر)
- ٦ - الفضاء هذا العالم الجديد
- ٧ - السينما والقضية الفلسطينية
- ٨ - أنا باز (قصيدة طويلة)
- ٩ - الفرسان الثلاثة (للأطفال)
- ١٠ - الداء السكري
- ١١ - المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة
- ١٢ - أزهار الكرّز (أشعار يابانية)
- ١٣ - وضاح ولىلى (للأطفال)
- ١٤ - القيامة والزبال (مسرحيتان)
- ١٥ - الذاكرة والغضب (رواية)
- ١٦ - حكاية الرجل الذي رلسه البغل (قصص)
- ١٧ - حكي لي الأخرس (سخریات صغيرة)
- ١٨ - قدّاس من أجل فلاح اسباني (رواية)
- ١٩ - البطل الملحمي في روايات عبد الرحمن منيف
- ٢٠ - الذهب (قصة للأطفال)
- ٢١ - التلوث وحماية البيئة
- ٢٢ - مسرح الريادة (دراسة)
- ٢٣ - طبرصف والزينية
- ٢٤ - الكتّابات السوريات ١٨٩٣ - ١٩٨٧
- ٢٥ - حطين
- ٢٦ - الانتفاضة بالكاريكاتير
- د. محمد العودات ود. جورج لحام
- د. عادل العوا
- غابرييل غارسيا ماركيز، ترجمة صالح علماني
- د. عبدالله حنا
- ممدوح عدوان
- مجموعة من الباحثين، ترجمة عيسى طنوس
- حسين العودات
- سان جون بيرس، ترجمة عبد الكريم كاصد
- سليمان العيسى وصلاح مقداد
- د. ميه الرحي
- علي القيم
- ترجمة عدنان بفجاتي
- سليمان العيسى
- ممدوح عدوان
- فائز الزبيدي
- وليد معماري
- خطيب بدلة
- رامون خ. سيندر، ترجمة عاصم الباشا
- د. أحمد جاسم الحميدي
- يحيى الشيخ
- د. محمد العودات
- عبد الفتاح قلعه جي
- عدنان عمارة
- مروان المصري
- يوسف سامي اليوسف
- الأهالي

- ٢٧ - زوبك (رواية)
 ٢٨ - الطفل والاحلام (دراسة)
 ٢٩ - من قاموس التراث
 ٣٠ - الحب والظلال (رواية)
 ٣١ - دراسات في أدب عبد السلام الميجيلي
 ٣٢ - قيامة عبد القهار عبد السميع
 ٣٣ - الحياة الفكرية في حلب في القرن التاسع عشر
 ٣٤ - أرق الليلة الفاصلة
 ٣٥ - النفق (رواية)
 ٣٦ - كيف تُكتب الرواية؟
 ٣٧ - الرؤية المنهجية لدراسة الأخلاق
 ٣٨ - تسعة أشهر للولادة
 ٣٩ - مرايا صغيرة (شعر)
 ٤٠ - السواد (رواية)
 ٤١ - الجغرافية السياسية والجغرافية الاستراتيجية
- عزيز نسين، ترجمة: عبد القادر عبد المي
 د. عبد الرزاق جعفر
 هادي العلوي
 ايزابيل الليندي، ترجمة: صالح علماني
 مجموعة من الكتاب، تحرير: ابراهيم الجراي
 حسن، م. يوسف
 فريد جحا
 منيف حوراني
 اونستو ساباتي، ترجمة: عبد السلام عقيل
 غابرييل غاروسيا ماركيز - ترجمة صالح علماني
 محمد الجبر
 ترجمة غازي أبو عقل
 شيركو بيكه س
 حسن حميد
 أحمد عبد الكريم

تحت الطبع

- السؤال الآخر
 - سورية الجنوبية
 - ارتقاء المجتمعات الشرقية
 - تفاح الشيطان (رواية)
 - النقد الأدبي الحديث
 - الشلوذ الجنسي
 - سوسولوجيا الرواية
 - موت مدرّس التاريخ (قصص)
 - هم التعلل (شعر)
- فاضل الربيعي
 مجموعة من المترجمين
 مجموعة من الباحثين السوفييت
 احمد يوسف داود
 سمر روعي الفيصل
 د. ناجي الجيوش
 عبد الرزاق عيد
 حاتم علي
 حميد العقابي

الجغرافيا السياسية والجغرافيا الاستراتيجية

كتاب : «الجغرافيا - السياسية، والجغرافيا - الاستراتيجية» الذي تقدمه اليوم للقارئ العربي، هو محاولة موضوعية جدية أقدم عليها المؤلف الأميرال «بير سليريه» لتعيد هذا الميدان الشائك شديد الوعورة، وتأطيره، والسعي للاحاطة بفروعه ومقوماته وأساسه العلمية والتاريخية العديدة، وجعله في متناول الباحثين والخبراء والقادة من سياسيين وعسكريين.

واعتقادنا أن شمولية البحث رغم كثافته وإيجازه، تلفت انتباه القادة الى التشابك والتأثير المتبادل للعناصر الأساسية التي تشكل مكونات ما يمكن تسميته بعلوم «الجغرافيا - السياسية، والجغرافيا - الاستراتيجية».

فالمكان والزمان والانسان، هي العناصر الأساسية لهذه العلوم.

الناشر